أنيس منصور

إلا فاطمة

دار الشروق

إِلَّا فاطمَة

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

الطبعة الثانية
١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص. ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت : ص. ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

أنِيس منصُور

إلاَّ فاطمَة

دار الشروق

الحلقة الأولى

على حقيبة من القماش جلس « صابر » فى محطة المترو تحت أرض فيينا . . وأسند ظهره إلى حائط من الرخام أكثر برودة من الهواء الذى ينطلق من جانب إلى جانب . . كأنه يسابق الناس إلى السلالم وإلى المترو . . فالناس فى كل الاتجاهات تمشى بسرعة . . طبعًا لهم أهداف . . وطبعا الوقت عندهم من ذهب لا يضيعونه فى البحلقة فى وجوه الناس وفى أقدامهم وسيقانهم . . ونظر إلى حقيبته ، إن لونها كئيب . وتذكر أن والدته قالت له : عندما يفتحها ربنا عليك هات لك حقيبة أحسن . .

ونظر إلى حذائه : إنه جديد لامع . . لامع لأنه يمسحه فى بنطولنه من حين إلى حين . . وهى حركة عصبية لا معنى لها . . ولكن أيام المدرسة كان المدرسون يضربونه لأن حذاءه قذر . . فلم يكن يتوقف عن لعب الكرة حتى بعد أن يدق الجرس . . إنها عادة . ومعناها الآن أنه خائف . . وأن الخوف قد أعاده إلى سنوات الطفولة

البعيدة . . ومن الذى لا يخاف فى مدينة لا يعرف فيها أحدًا . ولا يعرف لغتها ولا يعرف ما الذى يمكن أن يعمل فيها . . فالذى تعلمه كله لا قيمة له . . إنه قد درس الحقوق باللغة العربية ، ما فائدة هذه القوانين : الرومانى والمدنى والجنائى والدستورى والإدارى . . لا فائدة طبعًا . ولو جاء أحد رجال الأمن وظنه متسولا أو مهربا للمخدرات وأشار بيده أن يسبقه إلى مركز الشرطة ، فإنه لا يعرف ماذا يقول . .

ـ هل تسرعت فى هذا القرار ؟

صابر يسأل نفسه بعد أن وصل إلى فيينا فى الطائرة المصرية . . لقد أفزعه المطار . . ولكنه سار فى طابور وراء الناس . . وتولد عنده شعور بالأمان ، لأن الطابور الذى أمامه ووراءه من المصريين . . إنه لا يعرف إذا سألهم ماذا يقول لهم . . وقف أمام شباك الجوازات . . وختم له الضابط جواز سفره وأشار إليه أن يتقدم وقال له مبتسما شيئًا ما لم يفهمه . . ولكن لابد أنه رحب به ترحيبًا شكليًا . .

وشكره صابر فى نفسه . . وخرج إلى الصالات الواسعة للمطار . . سوق . . الناس ألوان والحقائب أشكال والأصوات لهجات ولغات . . وضوضاء وروائح من الدخان ومن أشياء أخرى . . وأمام المطار . . كان الجو باردًا . .

واقترب من أحد المصريين القادمين معه من مصر وقال له : أنا لا أعرف أحدًا هنا . .

ـ لا تعرف أحدًا . . كيف جئت ؟

ـ قررت أن أجيء . وأنا متزوج وزوجتى حامل . . وكل الذى معى هو أدعية من والدتى وأملى فى الله سبحانه وتعالى أن يهدينى سواء السبيل . . وأنا مؤمن بأن الله جلت قدرته سوف يوفقنى . . الحمد لله على هذا الإيمان . . وأنا أعتقد أن الله قد استجاب لدعوات أمى فقابلت حضرتك . .

ـ كويس أن عندك مثل هذا الإيمان وهذه الثقة بالله . . ولكن لا تعرف أحدًا هنا ؟ . .

ـ لا . . معى خطاب لواحد بلدياتى . . ولكن لا أعرف كيف أصل إليه . .

ـ هل تعرف اللغة الألمانية ؟

ـ أبدًا . . والقليل جدًا من الإنجليزية .

ـ هل تعرف ما الذى يمكن أن تتعرض له هنا ؟

ـ عندى فكرة . .

ـ يعنى أنت أهلت نفسك لكل ما سوف تلقاه هنا . . على كل حال هنا مصريون كثيرون . عندى حل .

وأشار إليه أن يركب معه التاكسى . . وحاول أن يطمئنه طوال الوقت ويحكى له قصة حياته . . فهو أيضًا قد جاء إلى هذه البلاد مغامرًا . . كان فى الكويت وسافر منها إلى العراق ، ثم إلى تركيا ، ثم عبر أوروبا الشرقية إلى المانيا ثم إلى النمسا . . وعندما وصل إلى فيينا

وجد عددًا كبيرًا من المصرين . . وكلهم أولاد بلد وجدعنة . وعرضوا عليه أن يعيش معهم فى أى بيت يختاره . . . ووجد بعضهم يعيش فى غرفة واحدة وفى اثنتين وفى ثلاث . . ولكنهم جميعًا رحبوا به وطلبوا إليه ألا يشغل باله بأى شىء . . فسوف يقتسمون الرغيف والماء والفراش . . ولا يهمك . . وبكره تتعدل . .

ولم تنعدل بكره وإنما بعد بكره . . بل بعد بعد بكره . وتعدلت وهو الآن يعمل فى قسم الحسابات بأحد المستشفيات بعد أن حصل على الجنسية النمساوية . . وزوجته نمساوية وعنده أولاد وهو يساعد أهله فى الوقت نفسه . . ثم إنه ساعد كثيرًا من أقاربه بالهجرة إلى النمسا والحمد لله . وقبّل يده ظهرًا ووجها !

وكانت سعادة « صابر » هائلة عندما سمع قصة الكفاح والنجاح هذه . . وعندما وجد نفسه قد دخل فى حياة المصريين . . وكأنه فى دقائق قد عاد إلى مصر . . إلى الأمان والأحضان والدفء والرحمة والحب . .

وفى منتهى السعادة سأله « صابر » : يعنى أنت رأيك أن كل هذه المشاكل سوف تجد لها حلا بمشيئة الله ؟ . . أنا أعتقد أننى وجدت الحل . . فأنا أخوك وأنت تعرف الكثيرين . . هذا توفيق من عند الله . . وأنا لم أبذل مجهودًا فى البحث عنك . . إذن فالله لن يخيب أملى ولن يردنى خائبًا . . أمى أكدت لى ذلك . . فالحمد لله وما توفيقى إلا بالله . .

. . أنزله من التاكسى إلى إحدى محطات المترو وقال له : هنا سوف تجد عددًا كبيرًا من الشبان المصريين يبيعون الصحف ويعملون فى المقاهى والمطاعم . . ولن تحتاج إلى مجهود لكى تهتدى إليهم . . إنهم هم الذين سوف يعرفونك وسوف ترى منهم العجب . .إننى أتركك هنا . . وسوف أعود إليك بعد ساعة . . وهذا هو عنوانى إن احتجت أى شىء لا تتردد مطلقًا . . وقد حدث لنا جميعا ذلك . . وكلنا جئنا إلى هنا والتقينا هنا وافترقنا هنا . . وأنا على يقين من أنك سوف تعود إلى هذا المكان يوما ما . . مهما طال بقاؤك فى هذا البلد . . سوف تعود إلى هذه المحطة وإلى نفس المكان وربما فى نفس اليوم والساعة . . لا تخف فأنت الآن بين ألوف المصريين . .

وامتلأت عينا « صابر » بالدموع . . هل هى السعادة بأنه قد وجد حلا . . هل بسبب الإرهاق والتوتر الشديد والانفراج المفاجىء ! . . هل هو إحساسه بالحنين إلى مصر . . هل إحساسه بأنه لم يفكر كثيرًا فى ما ذا يحدث لزوجته وهى حامل فى شهرها السابع . . ماذا سيحدث لأمه المريضة . . أما أبوه فهو يعيش مع زوجة أخرى . . هل هو الخوف من شماتة . . إخوته الأشقاء وغير الأشقاء . . هل هو إحساسه منذ هذه اللحظة أنه أصبح وحده ومن يدرى ، فقد تمضى ساعات أو أيام قبل أن يجد مصريًا واحدًا . . أو لن يجد هذا المواطن المصرى الطيب ، الذى أعطاه بطاقة عليها الاسم والعنوان فوضعها فى حافظة نقوده دون أن ينظر إليها ويعرف اسمه . .

وبدأت الأفكار القاتمة تهب على دماغه كالهواء البارد تحت الأرض

من كل اتجاه . . أو كأنها غربان سوداء ودماغه شجرة جافة الغصون ذابلة الأوراق . . وأحس برغبة شديدة فى النوم . . كيف ينام وهو لم يعرف له مكانا يذهب إليه أو أحدًا يدله على أى شىء فى هذه المدينة . . وتذكر أن والدته قد وضعت له سندوتشًا من المربى والزبدة . . وسندوتشًا آخر من البيض والجبنة . . وأحس بالجوع فعلاً ومد يده إلى حقيبته وأخرج لفافة بها السندوتشات . .

وفجأة ظهر شاب أسمر مصرى يقول له : أهلاً وسهلاً ومرحبًا . . لقد رأيتك منذ لحظات وتذكرت أيام جئت أنا أيضًا إلى هذا المكان . . بالضبط حيث تجلس أنت . .

ثم قدم له صينية ورقية عليها عدد من الكرواسان ، وقدم له كوبا من الشاى الساخن وقال : أنت تأكل وتشرب من مصنوعات فيينا . . وأنا آكل سندوتشات مصر . . والله وحشتنى مصر . . ولكن ولا يهمك أى شىء . . أنت الآن بين أهلك . .

ثم ركع على قدميه ضاحكًا : شبيك لبيك عبدك بين يديك !

وضحك « صابر » لأول مرة . . وعانق هذا المصرى الطيب وقال : إن كل دعوة من دعوات أمى قد استجاب لها الله . . فالحمد لله رب العالمين !

إنت اسمك إيه ياأخ ؟

ـ محسوبك « عرفان » وأنت ؟

ـ « صابر » . .

ـ أهلا يا « صابر » . .

ـ مرحبا بك يا « عرفان » . .

ـ اسمع يا « صابر » . . أنا عاوزك تفرفش ولا تحمل أى هم . . كل مشكلة لها حل . . وأنت من هذه اللحظة ترمى كل همومك علينا . . سوف نحل لك مشكلة السكن . . ومشكلة العمل . . ولا يهمك . . كلنا جئنا مثلك تماما . . وكنا خائفين . . أنا والله العظيم حدث لى شيء غريب أول ما وصلت هنا . . أصابنى إسهال شديد . . فكنت أبكى وأنا فى دورة المياه ، خوفا من أن أظل طوال الوقت فى دورة المياه ولا أجد أحدًا من المصريين . . والحمد لله كل شيء ربنا جعله لنا سهلا . . فلا تخف ! الآن تستطيع أن تسند رأسك إلى الحائط وتنام . . وأنا سوف لا أرفع عينى عنك . . سوف أتركك ربع ساعة . . وهذه ورقة بها عناوين عشرين من المصريين . . كلهم يسكنون ويعملون فى هذه المنطقة . . لا تخف . . لن يسرقك أحد هنا . . إلا إذا كنت أنا . . هاها . . هاها !

وكأن أمرًا قاطعًا قد صدر إلى « صابر » بأن ينام . . نامت عيناه وتراخت ذراعاه وارتمى على الحائط وراءه ونام . . نام طويلاً . .

وعندما فتح عينيه فى فزع ، وجد عن يمينه وشماله عددًا من المصريين . . بالأحضان والقبلات . . ومرحبًا بك فى وطنك الثانى . . لا خوف ولا قلق . . وقالوا له : احنا جدعان برضه . . وأولاد بلد . . وعندنا نظر . .

وكان النوم قد أراح «صابر» وأنعشه وفتح شهيته على الضحك . .
وقال لهم : سمعتم آخر نكتة . . هاها . . ونكتة وراء نكتة . .

وسحبوا حقيبته من ورائه . . وحملها واحد منهم . . وحقيبة يده حملها واحد ثان . . واتجهوا جميعًا إلى الخطوة الأولى فى الطريق الصعب إلى الحياة فى العاصمة النمساوية . .

الحلقة الثانية

كان عليه أن يتعلم الألمانية وأن يعمل فى نفس الوقت . . أو يعمل أولا . . وبعد شهر أو شهرين يتعلم الألمانية . . إذن لابد أن يكون العمل الذى سوف يؤديه ليس فى حاجة إلى لغة . . فهو يعرض سلعة والناس يدفعون دون أن يسألوا . . ويكفى أن يضع الصحف على الأرض وينحنى كل عابر ويختار الصحيفة التى يريدها ويضع الفلوس فى طبق مجاور . . ولا خوف . . فلا أحد يسرق فى هذه البلاد . . بل فى استطاعته أن يترك الصحف على الأرض وهو آمن تمامًا إذن فوجوده إلى جوارها ليس ضروريًا . . المهم أن يعمل أولا وأن يتقاضى أجرًا أو عمولة . . ولكن « صابر » لا يريد أن يضيع وقتًا والوقت هنا يمر بسرعة . .

لقد مضى شهران ولم يصل إلى أى شىء . . فقط إنه يجد المصريين يأكلون ويمرحون ويضحكون ويتذكرون ، وكل واحد له حكاية ومغامرة . ويطلع النهار ويضحكون وبعضهم يتسلل مع الفجر . .

وبعضهم ينام مع الفجر . . وينامون بالخمسة فى غرفة . . وأحيانًا يتناوبون النوم على الأرض وعلى السرير وأمام الغرفة . . وكلهم فى انتظار المعجزة التى تنقذهم مما هم فيه . . وتجىء المعجزة دائمًا ـ هذا إيمانهم . وهو الإيمان العميق عند « صابر » . . فهو على يقين من أن الله لن يتخلى عنه . . أمه رأت فى الفنجان ذلك وفى أحلامها . . ثم إن الدعاء الذى طلبت إليه أمه أن يقرأه كل يوم ، دعاء معروف لتفريج الهموم وفتح الأبواب المغلقة . .

ولم يكن « صابر » يجد مكانا يخلو فيه إلى نفسه إلا دورة المياه . . ففيها يقرأ الخطابات التى كتبتها زوجته وطلبت إليه أن يقرأ واحدًا كل يوم . . وأن يقرأ الأدعية المباركة التى زودته بها أمه . . وإذا أحس بالرغبة فى البكاء فإنه يمسك دموعه حتى يخرج أحد الزملاء من دورة المياه . . وإذا فكر فى أن يكتب ففى دورة المياه أيضًا . . وهو لا يستطيع ذلك إلا بعد أن يناموا جميعًا أو يخرجوا جميعًا . . وإن كانوا عادة لا يخرجون إلى العمل كلهم فمواعيد عملهم مختلفة . . أناس ينامون نهارًا وأناس ينامون ليلاً . . ثم وجد الحل المريح له وهو أن ينزل ويقف أمام الباب ويقرأ وإذا أراد أن يكتب جلس على أحد المقاعد فى الحديقة الصغيرة . .

ومنذ جاء إلى فيينا لم يقرأ إلا خطابًا واحدًا لزوجته . . الخطاب كله حب وخوف ، وحب وغيرة ، من أن تلتف حوله إحدى شقراوات فيينا . . وينهدم كل الذى بنته الزوجة ، دمعة دمعة وابتسامة ابتسامة مع حبيبها وزوجها . . ولم يحدث أن ذهب إنسان

إلى هذه البلاد مهما كان حبه ومهما كان إيمانه دون أن يقع ضحية . . والبنات فى أوروبا أشطر وأجرأ . . وعندها حكايات كثيرة ومسلسلات فى التليفزيون والكلام عن الذين ذهبوا ولم يعودوا . . وعن الذين ذهبوا وعادوا بفتيات شقراوات وتخلت عنهم الشقراوات . . وعدن إلى أوروبا وتزوجن . . لتتركهم الشقراوات فى أوروبا أو فى مصر . . ومنهن من جاءت إلى مصر وخطفت أولادها وعادت إلى حيث لا يعرف زوجها . . ومنهن من جاءت إلى مصر وتركت الأولاد إلى زوجها . . وبعثت له بخطاب تقول له : أشكرك على عنايتك بهؤلاء الأولاد . . وأحب أن أقول لك : أن ليس من بينهم واحد أنت أبوه !

واختفت .

ووقف « صابر » عند عبارة جاءت فى نهاية الخطاب رقم (١) لزوجته تهانى . . تقول « تهانى » : أنا عارفة أن الدنيا غير الدنيا . . والناس غير الناس . . وأنا عارفة أن كلامى سوف يدخل من هنا ليخرج من هناك . . أنا عارفة ولكن أنت قلت لى الكثير من قلبك . . وأنت شاب مؤمن بالله . . ومتمسك بدينه . وأنا أيضًا . . فما دمت لا تغضب الله . ولا ترتكب معصية واحدة . . ربنا سوف يحميك ويعصمك . . ولذلك فأنا مؤمنة بالله ، الذى جمعنى معك على سنة الله ورسوله . . فلا خوف على حبنا . وأنا مؤمنة بالله سبحانه وتعالى . وسوف ينصرك الله على نفسك وعلى كل عدو لله . . وعدو لحبنا وحياتنا ومستقبل أولادنا .

وأحس « صابر » كأن زوجته « تهانى » الشابة الصغيرة قد رأت ما يراه فى فيينا . . فكل شىء يغرى بالمعصية . . فى كل مكان . . وكل الذين حوله قد انغمسوا فى كل شىء . . ويحاولون معه . . وهم لا يريدون إفساده . . وإنما هم يتصورون أنه واحد مثلهم . . ولا يمكن أن يقاوم كل شىء طويلاً . . إنهم فقط يريدون أن يفرفشوه . . ولكنه أكد لهم من أول لحظة أنه يخاف الله رب العالمين ! .

ولم يتضايق كثيراً عندما أطلقوا عليه : عمنا الشيخ « صابر » . .

واستراح إلى هذه التسمية . . لأن معناها أنه مختلف عنهم . وأنه مُصرّ على ذلك . . وأنهم لا يحاولون دفعه إلى شىء آخر لا يريده وهو لا يريده لأنه يغضب الله . وهو مؤمن بالله . . وما دام ربنا سوف يوفقه فكيف يعصاه . زوجته قالت له ذلك . وهو لا ينسى . . فليكن ما يعانيه هو جزءا من كفاحه ضد الشيطان وفى سبيل الله . .

ولم يستطع « صابر » أن يقاوم فى تلك الليلة . . فالليلة عيد ميلاد السيدة مرجريت صاحبة البيت . . وهى سيدة طيبة فى الأربعين من عمرها . وقد مات زوجها فى أحد المستشفيات ، وهى تعامل المصريين كأخوتها وتصبر عليهم فى الإيجار . . وقد تعلمت العربية وتستطيع أن تعبر عن نفسها . . وأن تجعل من يتكلم معها يضحك لأنها تلخبط فى ترتيب الألفاظ . . تضع الأفعال قبل الأسماء وأحيانًا بعدها على حسب الظروف . والحديث معها ضحك لا ينتهى . .

وقالوا لصابر : اجلس وتفرج واضحك ولن يرغمك أحد على أى شىء . . والنمساويون هنا يحترمون كل إنسان له رأى . . ويؤمنون

بالحرية . فأنت حر فى الذى تراه وتأكله وتشربه وتعاشره وتؤمن به . .

وقبل أن ينزل معهم إلى أحد المقاهى فى أطراف فيينا ، دخل دورة المياه وقرأ الخطاب الخامس لزوجته ثم قرأ الدعاء الذى أوصت به أمه . . تقول زوجته «تهانى» : حبيبى ونور عينى « صابر » . . قلبى معك ليلاً ونهارًا . . قلبى مخدة تحت رأسك . . قلبى عصفور يرفرف حواليك . . قلبى لحاف تتغطى به . . قلبى حارس لا يغفل ولا ينام . . حبى لك دعوات مستمرة بأن يحفظك الله ذهابا وإيابًا . . وربنا قادر على كل شىء . . قادر أن يحميك ويصونك . . ويحمى إيمانك . . ويحمى قلبك الطاهر الطيب . . لا تخف من شىء فأنت فى عناية الله . . لا تهتز أمام أى شىء . . فالذى يتمسك بحبل الله لا يهزه أى شىء . . أنت جئت إلى هذه البلاد الغريبة ، بإرادة من الله سبحانه وتعالى ، وسوف تعود إلينا سالما تماما بمشيئة الله . . أنا أدعو من كل قلبى . . وأمى وأختى والذى فى أحشائى ، لو عرف لدعا لك . . ألف سلامة لك فى كل خطوة ، فى كل نظرة ، فى كل لقمة ، فى كل قطرة . . فى كل عمل . .

كأن ترسانة من السلاح قد التفت حول جسمه . فهو فى حصن منيع . وكأن ألف « بلوفر » وألف بالطو قد أشاعت الدفء فى كل جسمه . . وحتى لا يسخر زملاؤه منه وبعضهم قد أسرف فى الشراب قبل الذهاب إلى هذه السهرة ، فقد جلس على أحد المقاعد وأمسك القرآن الكريم فى يديه . . وراح يصلى جالسا . . وعرف «صابر» أن الشىء الوحيد الذى لا يجرؤ أحد أن يعلق عليه هو إذا

أمسك القرآن . . فقد حدث أن حاول الصلاة جالسا ، فكانت السخرية من هذا الجمود وهذا الإصرار على أن يكون الإنسان غريبا . . ولذلك لم يعد يصلى جالسا ، وإنما يمسك المصحف ويتظاهر بأنه يقرأ والحقيقة أنه يصلى جالسا . .

وتزاحموا فى سيارة اتجهت إلى مكان بعيد من أطراف فيينا . . حيث عشرات . . مئات من المطاعم أو البارات فالناس يأكلون ويشربون . . ويضحكون . . وجلسوا حول عدة مناضد ضموها بعضها إلى بعض وبدءوا يشربون . . وجاءت السيدة مرجريت ومعها فتاتان وسيدة . . وجلسن جميعًا . السيدة مرجريت اقتربت وصافحته وقالت له باللغة العربية المكسرة : أهلاً وسهلاً . . أنت نورت فيينا . .

ـ شكرًا يامدام . .

ـ لا تقل مدام قل لى : مرجريت . . وهذه جارتى ماتيلده وهاتان ابنتاها ماريا وكريستينا . . وظلت تتكلم العربية التى تجعل أى مصرى يموت من الضحك . .

ثم قالت له : قد جئنا هذه الليلة لكى تضحك علينا . . وسوف تضحك علينا أيضًا . .

هاها . . هاها . .

وجلس « صابر » إلى جانب مرجريت . . وأما السيدة وابنتاها فجلسن بين سبعة من المصريين الذين يعملون فى فيينا والذين يتكلمون الألمانية . .

وقالت له مرجريت : شىء غريب فى المصريين . . إنهم يشربون . . وعلى حرياتهم تمامًا فى كل شىء . . إلا شيئًا واحدًا لا يأكلون لحم الخنزير . . وأنت أيضًا .

ـ نعم .

ـ ولكنك أكثر تمسكا بدينك منهم . . لا تشرب ولا أى حاجة أخرى . . فهل ياترى تستطيع أن تصمد طويلاً ؟ .

ـ إن شاء الله . .

ـ إنهم جميعا فى أول الأمر لا يتمسكون بذلك . . فهل أنت مثلهم .

ـ إن شاء الله سوف أتمسك بدينى . .

ـ أنا أحب الذى له مبدأ . ولكن ما الذى يجعلك على يقين من ذلك .

ـ لأننى مؤمن . ولا أزال أصلى وأقرأ القرآن كل يوم . .

ـ فهل تتزوج من النمسا .

ـ أنا متزوج من القاهرة وزوجتى حامل وأنا أحبها وأكتب لها كل يوم خطابًا . .

ـ وهل تجىء زوجتك إلى فيينا . .

ـ لا . . ليس الآن . .

ـ وماذا ستعمل هنا ؟

ـ لا أعرف . . أنا كنت فى مصر أعمل محاميا . . ولكن لا أعرف ما هو العمل الذى يناسب من لا يعرف اللغة الألمانية . . على الأقل حتى يعرفها . .

ـ بعض المصريين تزوج اثنتين . .

ـ لن أفعل .

ـ وإذا اضطررت . .

ـ لن اضطر إلى شىء من مثل ذلك . .

ـ أقول نفرض أنك اضطررت . .

ـ إذا اضطررت فسوف أعود إلى مصر فقد أحببت زوجتى وأخاف الله رب العالمين ووعدتها ألا أخونها . . وإذا وجدت نفسى مضطرًا إلى عصيان الله فسوف أعود إلى مصر . .

وكانت مفاجأة لصابر . . لقد اقتربت السيدة مرجريت واحتضنته وقبلته على خده . . قبلة طويلة دافئة . . وصفق المصريون . . وهللوا . . وقالوا : آه الأولة فى الغرام قبلة . . الأوله فى القبلات على الخد . . والثانية على الخد . . والثالثة على الفم . . والرابعة والخامسة . . والله وجت رجلك ياشيخ « صابر » . . والله وقعت ومفيش حد سمى عليك ياسيدنا الشيخ . .

وتضايق « صابر » . . ولكنهم مخمورون وحاولت السيدة مرجريت أن تخفف عنه . . واستطاعت السيدة مرجريت أن تجعله ينشغل كثيرًا عن الذى قالوه . . ثم طلبت أن تتحدث إليه على

انفراد. ونهضت وعلقت ذراعها فى ذراعه . واحتضنته وقبلته على الخد الآخر . . ولم يستمع « صابر » إلى التعليقات التى رددها المصريون حوله . . فقد بدأ الصفير فى أذنه واحمر وجهه وارتبك . . ولكن مرجريت قالت له : اسمع ياشيخ « صابر » .

ـ أنا لست شيخًا . . إنهم يسخرون منى . .

ـ أنا ظننت أن اسمك شيخ « صابر » . . آسفة . . اسمع يا «صابر » لا تغضب من زملائك . . لقد أسرفوا فى الشراب . . ولا تحاسب بعقلك ، لأن عقلك حاضر وعقولهم غائبة . . والذين يشربون عادة يكرهون أن يجلس بينهم واحد لا يشرب ، لأنه لن يغفر لهم أخطاءهم الصغيرة . . ولكنهم ليسوا أشرارًا ، إنهم يحبونك ويحترمونك . وقد حدثونى عنك كثيرًا . .

وهم يرون فيك الصورة النبيلة الرفيعة للمصرى الشاب المؤمن المخلص لدينه ولزوجته والذى يحترم كلمة الحب . .

وكان ذلك أحسن ما سمع وأصدق نصيحة تلقاها من غير والدته منذ سافر إلى فيينا . .

وجلس يكتب كل ذلك لزوجته . .

الحلقة الثالثة

ووجد « صابر» نفسه مدفوعًا إلى زيارة السيدة « مرجريت » . .

ووجد السيدة « مرجريت » أكثر جمالا مما رآها فى الليل . وجهها أبيض أحمر وعيناها زرقاوان وإذا ضحكت أشرق وجهها . . ولاحظت ارتباكه فاقتربت ومدت يدها تصافحه . وتطلب إليه أن يتفضل بالجلوس وقد أعدت له الشاى والكيك . . وعندما كانت ترد على التليفون كان هو يتجول بعينيه فى الشقة . . نظيفة . . منظمة أنيقة جميلة . . بسيطة . . ورد وزهور فى كل مكان . . على المائدة وفى النافذة وفوق رفوف الكتب . . وعلى الحائط صور لها وهى شابة ، وصور لأولادها أو إخوتها . .

وبادرته قائلة : أنت سوف تتناول غداءك معى . .

ولم تقل : معنا . .

أى إنه سوف يتغدى معها وحدها . ولم يقل زملاؤه إنها سيدة سيئة السمعة . . وإنما قالوا : إنها تخدم المصريين وتساعدهم . . ولم

يلاحظ أن أحدًا قد تجرأ عليها . . أو تهجم عليها . . إنهم أيضًا يحترمونها . . وعرف أن احترامهم لها ، لم يجعل واحدًا منهم يأتى إليها مع صديقته . . وإنما احتفوا بها وحدها هى وصديقتها وابنتى هذه الصديقة . . ولابد أنها لاتحب أن تكون مع صديقات المصرين . . ولابد أن صديقاتهم دون مستواها شكلا وخلقا ـ هكذا كان « صابر » يفكر عندما جلس إليها وراح يفكر فى الذى يراه ، والذى رآه فى تلك الليلة . .

فلم يلاحظ فى تلك الليلة ، أنها ترنحت من الشراب أو أنها تلعثمت فى الكلام . . أو قالت كلاما هلل له المصريون أو تصايحوا . . إذن هى سيدة محترمة لنفسها ، وغيرها يحترمها أيضًا . .

وسألته : هل تعرف يا « صابر » أن بعض هؤلاء الشبان قد تزوج . . طبعا سوف تسألنى ، ولكنهم ينامون معا بعيدا عن زوجاتهم . . بعضهم عنده أولاد بلا عقد زواج . . وبعضهم متزوج قانونا ولكن اتفق الزوجان مؤقتا ، على أن تقيم الزوجة فى بيت أهلها أو بيتها القديم ، ويبقى هو مع زملائه حتى يتمكن الاثنان من استئجار شقة مستقلة . . ولا أعرف ما الذى ستفعله أنت هنا إذا طال بقاؤك وحدك . . هل يضايقك أن أتحدث بهذه الصراحة . .

ـ لا . . إننى أخبرت زوجتى فى خطاب كتبته لها اليوم عنك وإننى سوف ألتقى بك هنا . . وإننى أكن احترامًا لك ، ولذلك لبيت هذه الدعوة .

ـ وأنت تقول لها كل شىء .

ـ نعم . اتفقنا على ذلك . .

ـ أنت شيء نادر فى هذه الدنيا . . ولذلك فأنا أخاف عليك . .

لا خوف بمشيئة الله . .

وراحت « مرجريت » تحدثه عن كل زملائه . . فحدثته عن «درويش » هذا الطويل النحيف . . إنه متزوج فى مصر . وهو يعيش فى فيينا من تسع سنوات . . وقد طلق زوجته فى القاهرة بعد أن انجبت له ثلاثة أطفال . . وتزوج فى فيينا واحدة تعمل جرسونة وليسا على وفاق . . فقد عرف فتاة غيرها . . وهى عرفت شابًا غيره . . عرفت واحدًا مصريًا أول الأمر لكى تغيظه . . ثم تركته إلى شاب هندى . . ولذلك فهو كثير المرح والشراب أيضًا إنه ليس سعيدًا . . وقد توقعت له ذلك . .

وسألته : ومن هو أحب هؤلاء المصريين إليك . . « فريد » ؟

ـ نعم . وكيف عرفت ذلك ؟

ـ لاحظت ذلك . . فقد رأيتك تتنقل حتى جلست إلى جواره ثم لم تغير مكانك ولم تتوقف لحظة عن الحديث إليه . . فهو أقلهم تناولا للشراب . . وهو أيضًا له حكاية . . جاء إلى فيينا متدينا . ثم بدأ يتحلل من الواجبات الدينية . وصارحنى بأنه لا يزال متدينا وأنه يخاف الله وأنه يريد أن يتزوج ، وفى نفس الوقت لا يعرف أحدًا ولكنه قرر أن تكون له غرفة وزوجة . . وبعد ذلك أولاد . . ولا يريد أن يعصى الله . . فهو ريفى شديد الإيمان . . ونصحه المصريون أن يتزوج عرفيا من إحدى النمساويات . . وتزوجا . . وفوجىء بأن

هذه النمساوية قد تزوجت عرفيا من مصرى آخر . وكانت فضيحة . وصدمة عنيفة له . ولم يستطع أن يتجاوز هذه الصدمة إلا أخيرًا جدًا . . ولكنك إذا جلست إليه طويلا تلاحظ أنه يسرح كثيرًا . . ومعنى ذلك أن أعماقه تغلى . . وأنه عميق الفشل وأنه شديد الندم . . وأنه مفضوح . . وأن كل حساباته كانت خاطئة . . وأنه مصدوم فى المرأة النمساوية . . وأنه أخطأ خطأ فادحًا . . ثم لا يعرف كيف يعيش طاهرًا بلا زواج وكيف يتزوج بعد ذلك .

ـ فماذا فعل بعد ذلك . . وكيف استطاع أن يتمسك بدينه ؟

قالت له « مرجريت » وقد اقتربت منه ووضعت يدها على يده . . ومالت على كتفيه لحظات وقالت له : لم يجد إلا حلا واحدًا . .

ـ ماذا ؟

ـ يهمك أن تعرف .

ـ نعم . .

ـ وهل تريد أن تفعل مثله .

ـ لا. لا . فقط أن أعرف . .

ووضعت يدها على يده وهى تقول لقد تزوج أرملة أكبر منى فى السن . . كانت زميلتى فى الدراسة وهى تملك شقة تؤجرها للأجانب . . بنسيون صغير . . وهى أكبر منه بعشرين عامًا وهما سعيدان . . وهى لم تحضر إلى عيد ميلادى لأننى لم أدعها .

ـ ولماذا ؟

ـ لأنها لا تحب أن تبدو كبيرة وسط عدد من الشبان .

ـ أنت عندك كل المعلومات عن كل المصريين .

ـ نعم . . إننى أحبهم . .

ـ وهم يحبونك . .

ـ إلا أنت .

ـ بل أحبك .

ـ مثل زوجتك .

ـ مثل أختى . .

ـ ألم يكن الفراعنة يتزوجون أخواتهم .

ـ فعلا ولكن فى الإسلام وفى كل الديانات حرام . .

ـ أعرف . . إنما أنا أداعبك !

ـ وهل تعرفين بالضبط ما هى حكاية « رأفت » ؟ . . إنه أكثر هؤلاء الزملاء هدوءًا ووقارًا وكأنه يمشى فى طابور طويل من المهمومين ولا يريد لأحد أن يقترب منه أو يسأله عن أى شىء . . وأنا ألاحظ أنهم يحترمون مشاعره هذه .

ـ تمام . . إحساسك مضبوط . . إنه الآن أكثرهم وقارًا . . ولكنه لم يكن كذلك . . ولكن التعاسة علمته الأدب . . والهموم فرضت عليه الوقار . . إنه مربوط بسلاسل فى يديه وقدميه . . ولذلك فهو لا يتحرك . . لا يقوى على الحركة . .

ـ ياه . . مأساة إذن ؟ ! .

ـ هى كذلك . . ففى أول أسبوع من وصوله إلى فيينا . . عرض الزواج على فتاة كانت هى الأخرى فى محنة . وتريد أن تنتهى هذه

المحنة بأى شكل . . وكان هو الشكل الغريب العجيب الذى تريده . . تزوجا . واختلفا بسرعة . ضربها فأدخلوه السجن . وخرج من السجن . . وطلقها . . وكانت حاملاً فأنجبت له ولدًا لابد أن ينفق عليه . . وهى تعيش مع شاب آخر بلا زواج . . ثم تزوجت هى . . وتضايق هو فتزوج صديقة لها . . واكتشف أن زوجته هذه هى عشيقة الشاب الذى تزوج زوجته السابقة . . المصيبة الكبرى أنها هى الأخرى كانت حاملاً وأنجبت ولدا لابد أن ينفق عليه . . الشاب يفهم اللعبة أو يتعظ . . أبدًا كان يتصرف بنفس الطريقة ويلقى نفس المصيبة . . واكتشفت أنه فى أعماقه متدين جدًا . . وأنه لا يقوى على الحياة بلا زوجة شرعية . . وأخيرًا من سبعة شهور عرضوا عليه أرملة مصرية تعيش بعيدًا عن فيينا . . قابلها . . جلس إليها . . حكى لها مصيبته . . وحكت عن مصيبتها . . هو كان صادقًا لم يخف عنها شيئًا ، وهى قد أخفت عنه كل شىء . . لم تقل له إن زوجها لم يمت . وإنما هو دخل السجن بسبب النصب والاحتيال . وأفلح المصريون فى أن يطلقوها . . وقبل خروجه من السجن بأيام تزوجت « رأفت » هذا . . ولم تقل لرأفت شيئًا عن ذهابها إلى السجن وزيارة زوجها السابق . . وتقدم بعض الهدايا له . . وخرج الرجل من السجن وعرف عنوانها وذهب إليها . . وعاد الزوج ليجد رجلاً غريبًا فى البيت . . وطبيعى أن يتشاجر الرجلان وأن ينتصر الأقوى فحطم ذراع الضعيف . . فقد حطم ذراع «رأفت» . . ذراعه الأيسر لحسن حظه . . لأنه يعمل فى إحدى الصيدليات . . وطبيعى أن يطلقها « رأفت » . . وكما ترى فهو رجل

تعيش . . لم يرحمه القدر . . وهو كما ترى عبرة لكل من يقف فى اتجاه الرياح العاتية متوهما أنه أقوى من الريح . .

ثم سكتت . . سكتت دقيقة . . أو عشر دقائق . . كان السكون طويلا . . وعندما رفع عينيه إلى عينيها وجدها تنظر فى أعماقه . . إنها . .

واخترقت هى حائط الصمت وقالت له : يهمك جدًا أن تعرف حكاية « شريف » .

ـ « شريف » ؟ ولكنه لم يكن موجودًا ليلة عيد ميلادك . . ولا أراه إلا قليلاً . . وهو أقلهم تهريجًا . . وفى كل مرة سألت عنه قالوا لى : إنه مشغول جدًا . . ويعمل بعيدًا خارج فيينا . .

ـ إنه مشغول فعلا . . ولكنه لا يعمل بعيدًا . . وإنما فقط يريد أن يكون بعيدًا .

ـ لا أفهم . .

ـ سوف تفهم . . إذا .

ـ إذا ماذا ؟

ـ إذا .

ولم تجد عينيه لكى تنظر فيهما . لقد أطبقهما . .

وعادت تقول : « شريف » هو المسكين بين هؤلاء . . إنه مسيحى . . وهو غير قادر على أن يطلق زوجته . . وزوجته هى صديقتى التى رأيتها فى عيد ميلادى . .

ـ أكبر منه . .

ـ وأغنى منه أيضًا . . وعندها بيت صغير . ومطعم . . وهو كان يدير هذا المطعم ولكن عندما اختلفا ذهب يعمل بعيدًا . ولم يشأ أن يحضر عيد ميلادى لأنه ما يزال على خلاف معها . .

ـ لماذا ؟

ـ حكاية طويلة . . تزوجها عن حب لها . . ووجد صعوبة فى أن يعيشا معا فى بيت به فتاتان ناضجتان . . ولهما أصدقاء كثيرون . . أحيانًا يجد ابنتها وصديقا لها فى البيت وحدهما . . . وتضايق وحاول أن يؤكد لها أنه شرقى وأنه لا يوافق على ذلك . . ولكن الأم أكدت له أنها لا تستطيع أن تلوم ابنتها أو تنتقدها لأى سبب . . فهى حرة . لأنه لو طلقها فسوف يدفع مبلغًا كبيرًا من المال ، ثم إنه مدين لها بعشرات الألوف . .

وسكتت . . وسكت هو أيضًا . . وتهيأ للوقوف . . وقبل أن يتناول الغداء . . بل لا يريد غداء أو عشاء فالذى سمعه يصد النفس عن الطعام ويسدها تماما . .

ثم أيقظته من سرحانه الشديد بأن أمسكت يديه معا . . وهى تقول له : ولكن فى الإسلام من السهل عليك أن تطلق زوجتك فى أى وقت . . وتنتهى كل المشاكل . . صدقنى . . إننى فكرت فى ذلك بعد أن سمعت عنك ورأيتك من بعيد دون أن أجلس إليك . .

الحلقة الرابعة

أغلقت « تهانى » الباب عليها . . وجلست تقرأ بعناية شديدة خطابا جاءها من « صابر » . . وتضع يدها على قلبها وتكاد تموت خوفا مما قد يصدمها فى هذا الخطاب . . ليس الخطاب الأول . وإنما جاءتها خطابات كثيرة . . قرأتها عشرات المرات ووضعت خطوطًا حمراء وسوداء تحت كلمات وعبارات فى هذه الخطابات . . وتناقشت فيها مع أختها ووالدتها . . وأحيانا مع حماتها . .

وهى تارة تقرأ الخطاب من أوله وتارة من آخره . .

وتقارن بين البداية هنا وهناك والنهاية هنا وهناك . .

وكم مرة ذكر اسم « مرجريت » . . وكم ذكر اسم « ماتيلده » و«كريستين » وأحيانًا يصف كل واحدة بصفة . . وأحيانا يضيف صفات جديدة . . وتقارن بين كل الصفات التى أطلقها على كل واحدة . .

ولكن الذى أقلقها كثيرًا جدًا ليست « مرجريت » فهى سيدة أكبر

منه وهى سيدة محترمة . هو يقول ذلك . .

ولكن واحدة جديدة اسمها« ديجا » . . دلع « خديجة » . .

وتقرأ لأختها ما جاء عن « ديجا » هذه . يقول « صابر » :

وجدتهم كلهم يتكلمون عن « ديجا » . . كل واحد عنده مشكلة يذهب إلى « ديجا » . . كل واحد مزنوق فى قرشين يتجه إلى «ديجا» . . كل واحد له مشكلة فى السفارة : عليك بديجا . . وخفت أن أسأل عن « ديجا » هذه حتى لا أقع فى مقلب وحتى لا يؤلفوا حكايات وروايات عن « ديجا » هذه . .

وتنظر إلى أختها وتقول : حكايات وروايات عنه . . ياترى ايه اللى عملته يا « صابر » وألفوا عنه حكايات وروايات . . أنت بدأت تخفى عنى الحكايات والروايات والآن وقعت بلسانك يا « صابر » . . وقع بلسانه شايفه . . وده اللى بأقول عليه عاقل وبتاع ربنا . . يظهر مفيش حد لا عاقل ولا بتاع ربنا . . شايفه يا « فتحية » أحسن بتقولى لى أن « صابر » لا نظير له فى الدنيا . . أدى إنت سامعة اللى بيقوله « صابر » . .

وتقترب أختها من الخطاب . . وتقول لها : هاتى أنا أقرأ هذا الخطاب . . أين هذا الكلام .

ـ قدامك .

ـ أين ؟

ـ هنا . .

وتشير إلى أسفل الصفحة . .

ـ ولكنى لا أجد كلمة واحدة من هذا الذى تقولين . . من أين أتيت بهذا الكلام ؟

ـ من أين ؟ لابد أنه كان سيقول هذا طبعا . . وماذا تظنين أنه سيقول . .

ـ يعنى الكلام ده من عندك أنت . .

ـ لابد أن يكون كده . .

ـ والله انت اتجننت . . أنت تخترعين كلاما وتحاسبين عليه الجدع . . ياشيخة حرام عليك . . الله يلعن أبو الحب اللى حيجننك . . إذن كل الحكايات التى تقولينها عن « صابر » من اختراعك أنت . . أعوذ بالله . . حرام عليك . . على رأى المثل : مالقوش فى الورد عيب قالوا له : ياأحمر الخدين .

ـ هه ياأختى . . اللى أحمر الخدين . . واحدة اسمها « ديجا » . . اسمها « خديجة » وهو بيدلعها يقول لها يا « ديجا » . .

ـ اسمعى أنا مش قادرة أفهم منك حاجة . طول الوقت قاعدة تعيطى وتقولى كلام غير الموجود فى الجواب . . أنت عاوزة تطيرى عقلى أنا كمان . . لما تبطلى عياط السنة دى أبقى ابعتى لى . . تصبحى على خير .

وتذهب « فتحية » لوالدتها وتسألها عن أختها «تهانى » .

وتقول لها « فتحية » ياماما بنتك دى انهبلت . . ياماما ضربت لى

تليفون الحقينى . . نزلت أجرى من البيت وكنت حدوس الناس فى الشارع . . مش شايفه السكة قدامى . . حتى قلت للشغالة تنزل تستنى الأولاد أمام البيت . . إياك سواق أتوبيس المدرسة يقف أمام الباب بالضبط . . والله الشغالة اللى عندى كبيرة ومريضة . . رحت لقيت «تهانى » حتموت من العياط بتقرأ جواب جالها من «صابر» . . وكل ما ييجى لها جواب له تبعت لى وتجننى . . الجدع بيكلمها بمنتهى الصراحة . . وهو كمان عبيط لازم يقول لها كل حاجة . . إن قابل واحدة راح يصف شكلها وفستانها واسم البارفام اللى هيه حطاه . . لازمته إيه هو مش عارف إن مراته مجنونة . . ليل نهار تقرأ الجوابات من آخرها مرة ومن أولها مرة . . وجواباتها عاملة زى كتب المدرسة . . معلمة بالأسود والأحمر تحت الكلمات . . كأن الجدع فى امتحان . . وإذا قال لها مرة حبيبتى زوجتى . . ونسى فى المرة اللى بعدها وقال لها : زوجتى حبيبتى . . يبقى اتغير . . المهم عندها الحب اللى أدى إلى الزواج . . مش الزواج اللى أدى إلى الحب . . هو أحبها أولا وبعد ذلك تزوجها . . اتغير . . وإيه اللى غيره . . وياواقعة سوداء لو أنهى جوابه من غير ما يقولها تصبحى على خير يا أحب الناس . . تصوت وتلطم وتقول إنه قال نفس العبارة لوالدته . . يعنى أنها هى ما بقتش أعز الناس وأحب الناس . . والله ياماما أنا تعبت . . وأنا إذا طلبتنى مرة ثانية أنا لا يمكن حاروح . . مجنونة !

وفتحت الأم شنطتها وأخرجت منها عدة جوابات وهى تقول :

عارفه دول إيه . . جوابات بعتها « صابر » لأختك . . أنا أخذت هذه الجوابات بالقوة . . وحلفت عليها إذا لم تعطنى هذه الخطابات فلن أدخل بيتها . . يابنتى طول الوقت تقرأها وتعيط . . أنا قرأت الجوابات والله يابنتى ما فيها حاجة وحشةأبدًا . . كل كلامه حلو وشاب مستقيم وبتاع ربنا . . وبيحكى لها عن كل اللى حصل له . . وكل اللى حصل للمصريين هناك . . وشوفى أدب الجدع . . كل ما يحكى لها حكاية يقول لها : إننى أمسك الخشب . . الحمد لله ربنا أعطانى واحدة أحسن من كل دول . . يعنى كل واحدة بتفكره بيها . . ولما يفتكرها يقول إنها هدية من عند ربنا . . هل فيه كلام أحلى من كده ؟ . . ومرة حكى لها حكاية واحدة وصفها بأنها جميلة . . وأن هذه الجميلة قد خانت زوجها مع واحد من زملائه المصريين . . ونسى يقول فى نهاية الحكاية إن « تهانى » أجمل منها . . نسى . . فقالت لى : آه . . هيه دى . . اللى خانت جوزها . . مين عارف يمكن خانته مع « صابر » . . وعلشان ما قالش إننى أحسن منها . . هيه اللى خلته يتأخر عن كتابة الجوابات ثلاثة أيام . . ثلاثة أيام وهى تنتظر على نار وصول جواب واحد . . ولكن « صابر » ولا هوه هنا . . حاولت أفهمها أنه يشوف أكل عيشه وبلاش يشغل نفسه بحكاية الجوابات . . الولد يابنتى عايش عيشة الكلاب . . ولكنه لا يتكلم . . إنه ينام مع عشرة فى غرفة واحدة . . تصورى . . إنه لا يعرف كيف يدخل دورة المياه . . وهو الذى يجلس بالساعات فى مصر يقرأ الصحف ويشرب القهوة . . ولا يعرف كيف يصلى . . ولا يعرف كيف يستحم . . أنا كتب لى جوابا بهذا المعنى . ولكنه لو

كتب لمراته الكلام ده لقالت حكايات وروايات مالها أول ولا آخر . . وأنا لو وريتها الجوابات اللى بعتها لى « صابر » حتقلب الدنيا . . إزاى وإزاى . . وعلشان كده أنا أرجوك ما تجيبش لها سيرة . . دى مجنونة . .

ـ وبعدين ياماما . . حنعمل إيه ؟

ـ العمل عمل الله . . ولا حاجة . . أنا مش حاقولك « صابر » بيعمل إيه . ولكن « شوقى » و « شوقى » ابن اختى هو اللى حيقول لك وآهو جاى دلوقت . .

ـ « شوقى » ؟ كان فى فيينا ؟

ـ لا . . ولكن زميله فى الدراسة عنده أجزاخانة فى فيينا . . وهو يعرف « صابر » وعرض عليه العمل ولكن « صابر » رفض لأنه عاوز يشتغل حاجة يفهمها . . حاجة لها علاقة بالقانون أو تاريخ مصر أو آثار مصر . . ويمكن « صابر » يشتغل فى مكتب سياحة . . يمكن ده « شوقى » اللى بيقول . .

ودق جرس الباب وكان د . « شوقى » هو القادم : أهلا ياتانت .

ـ أهلا ياحبيبى . . والله يا « شوقى » لازم تقول « لفتحية » حكايات وروايات « صابر » فى فيينا .

ـ حكايات وروايات . . والله الراجل لا له حكايات ولا روايات . . ده رجل لم يدخل سينما ولا أوبرا حتى هذه اللحظة . . ده بعد يومين من وجوده فى فيينا سألهم : امال حتصلوا الجمعة فين . .

وضحكوا جميعا . فلم يحدث أن واحدًا منهم قد صلى أو سأل إن كان هناك جامع على الإطلاق . . وهو لا يشرب ولا يدخن . . ولا يذهب إلى الحانات ولا إلى الكباريهات . . وهم مندهشون لذلك . . وهو مصر تماما أن يظل نظيفًا طاهرًا ، وإن الدين قادر على أن يصونه ويحميه . . وهو دائم الكلام عن مراته « تهانى » وعن ابنه « محمد » عنده كم سنة ابنه ؟

ـ ابنه . . ياحبيبى مراته ما تزال حاملا فى السابع . . لم تلد ولكنه يحلم بأن يكون له ولد . . والله جدع طيب جدًا ومفيش منه أبدا فى الزمان ده . . ولكن مالوش بخت اللى اتجوز بنت مجنونة زى تهانى . . وأنت تعرف الستات اللى يعرفها . .

ـ ستات ؟ ويعرفها . . ولا ستات ولا حاجة . . هناك يطلقون عليه اسم عمنا الشيخ « صابر » . .

ـ مراته حتتجنن وتعتقد أنه يعرف ألف واحدة وكل يوم يتجوز واحدة ويطلقها . . شهريار يعنى ؟!

وسألته « فتحية » : إن كان من المعقول أن يظل شاب بهذا الشكل فى فيينا ؟

وقال لها « شوقى » : والله « صابر » ما زال بهذا الشكل حتى الآن . . بقى له أد إيه دلوقت .

ـ قرب على شهر ونصف . .

ـ شهر ونصف ؟! بس ؟

ـ حرام عليكم . . أنتم مستعجلون على فساد الجدع لسه . . لسه . . لسه . . ياطانط أجدع جدع وأرجل رجل ياخد شهرًا واحدًا فى فيينا . . وبعد كده يارحمان يارحيم . . كلها كام يوم و « صابر » حيبقى الخواجه « صابر » . . أو « صابرمان » . . دى بلد ياطانط تدوب الحديد . .

ـ أنت لما رحت فيينا ؟

ـ لما رحت ؟ قبل ما أروح .

ـ ما سمعتكش مراتك أنت كمان . .

ـ يا أختى سمعت وشبعت « سمع » وقلت لها . . أنا كده واللى عاوزنى زى ما أنا . . والا الباب يساع جمل . .

ـ أنا عارفه مراتك عاقلة . . راح تجرى هنا وتنط هناك والآخر يرجع لمراته وولاده . . مراته عاقلة جدًا وعارفه أنه فى يوم من الأيام ربنا حيهده . .

ـ والله واتهديت والوقت ماشى جنب الحيط . . وهى سعيدة قوى . .

ـ لكن تهانى لسه صغيرة وعلشان كده مجنونة . .

ـ فيه حاجة جديدة ياطانط . .

ـ أبدًا يا ابنى هوه نفس الموال اللى نعيده نزيده . . واللى نزيده نعيده . .

وودنك فين ياجحا . . حكاية ماهاش أول ولا آخر . . ولا قادرة

أشوف بنتى بتعيط ليل نهار ، ولا قادرة أسيبها ولا قادرة أرجع لها جواباتها . . ولا قادرة أقول لها عن الجوابات اللى « صابر » بيبعتها لى. ولا الجوابات اللى بيبعتها لأمه . . هيه مش عاوزاه لا يكلم حد ولا يشوف حد ولا يكتب لحد غيرها . . يبقى إزاى يا ابنى . . حد يعقلها أنا تعبت ياشوقى . . تعبت والله ومشيلانى الهم . . والجدع من أحسن الشبان اللى فى الدنيا . .

ـ أكلمها ياطانط .

ـ لا يا ابنى مش حتقدر عليها . . حتفتكر أننى اللى بعتك لها . . وإننى فضحت بنتى وضحكت عليها العالم كله . . لا يا ابنى فى عرضك . . ولا كلمة . أرجوك يا ابنى أنا مش ناقصة وجع قلب والا إيه يا « فتحية » . ؟ .

ـ والله ياماما . . كلامك مضبوط . . « تهانى » لا تعرف الهزار. . أنا من كام يوم باهزر معاها وبأقولها أنا لو كنت « صابر » لطلقتك واتجوزت واحدة غيرك . . ياخبر على اللى حصل ياماما . . أبوس إيديها ورجلها . . وأقول لها : ياأختى بأضحك . . باهزر . . أنت عارفة أنا باحبك قد ايه وباحبه هو كمان . . والله هزار ضحك . . حقك علىّ . . أنا غلطانه اضربينى بالجزمة . . غلطانة . كانت ليلة سوداء لما كان جوزى أنا حيطلقنى . . سايباه فى البيت عيان وقاعدة أصالح فى المجنونة أختى . . تصورى ياماما قالت لى وبلعتها ولم افتح فمى قالت : أنا عارفه إنك حطيت عينك عليه . . خديه أبلعيه وبالهنا والشفا . . اشمعنى أنت اللى مش عاوزه تخربى

بيتى . . تصورى ياماما !

ـ الحمد لله اللى أنا كبرت وما بقتش تقول لى : أنا كمان حاطه عينى عليه . . هاها . . هاها . .

ـ تعرفى ياماما . . ممكن تقول لك كده . .

ـ أنت يابنت تجننت أنت كمان وإلا إيه . .

ـ لا والله ياماما أنا بأكلمك جد . . لأنه فيه واحدة صاحبة بنسيون عندها خمسة وخمسين سنة تزوجت واحدًا من المصريين . . و«تهانى» متأكدة أن الدور على « صابر » . . هاها . . هاها . .

ـ ده باين إحنا كلنا اتجننا .

ـ . . . .

الحلقة الخامسة

بعد تناول العشاء فى أحد أيام الآحاد فى مدينة فيينا الجميلة جلس أربعة من الزملاء المصريين يتوسطهم « صابر » . .

و « صابر » هو الذى استدرجهم إلى الكلام عن أحوالهم . ليست لهم شكوى على ما يبدو. كل واحد الآن قد استقر فى عمله واستقرت حياته . ومن حين إلى حين يتحدثون بنعمة الله بأنهم قادرون على أن يكونوا نافعين مشرفين لبلدهم . . وكل واحد قادر على أن يتصل تليفونيًا من حين إلى حين بأهله . . وبأن يبعث بهدايا وأموال إلى أقاربه وإلى أولاده . .

وكان « صابر » هو أول المتكلمين قال : ياإخواننا لابد أن نعيد النظر إلى الوراء قليلاً . . نحن بفضل الله قد نجحنا . . وأنا شخصيا بفضل من الله سبحانه وتعالى وعون منكم . . الحمد لله . . ربنا سترها معانا . . وربنا يكمل لنا بالخير والمحبة بقية حياتنا . .

« فوزى » : جالك كلامى يا « صابر » . . أنا قلت لك من أول

لحظة كل شىء له ثمن . . كل شىء . . لو قلت لواحد صباح الخير ورد عليك وقال لك ياصباح النور . . لابد من ثمن . . لا شىء هنا لوجه الله . .

« صابر » : ليس إلى هذه الدرجة . . فأنتم جميعا قد ساعدتمونى لوجه الله تعالى . .

« فوزى » : أنت حالة خاصة . . ونحن معا واجب علينا أن نتعاون . . فنحن فى غربة . . وأهل وعيش وملح . . كلامى كله على الخواجات . . أنت مثلا هل كان من الممكن أن تعمل فى شركة أدوية أو حتى تدخلها برجلك ، لولا أنك تزوجت « مرجريت » . . أبدًا لولاها . . ولولا أن «مرجريت » أحبتك حبًا شديدًا ولولا أنها أيقنت أنك مختلف عن جميع زملائك . . وهى التى أصرت أن تبقى على جميع مبادئك . . لا تشرب ولا تدخن وتصلى . . وأكثر من ذلك أن تشهر إسلامها . . ليس فى الدنيا كلها أعظم من ذلك . . وكل شىء بثمن . . الثمن أنها تزوجت شابا زى الورد . . باسم الله ما شاء الله جدع ، وابن بلد ، وذكى ، ومستقيم ، ومن النادرين الذين يعرفون ربنا . .

« بدوى » : المهم أن يعرف الثمن . . ولكن المصيبة أننا عندما جئنا إلى هذه البلاد كنا نتصور أن الثمن هو الجنس أو هو الحب . . وكانت غلطتنا . . فالناس هنا ليسوا مجموعة من الحيوانات . . ولكنها مفهومات خاطئة . . هذه المفهومات دفعنا ثمنها غاليا . . أنا شخصيا انتقلت من بيع الصحف إلى بيع السندوتشات إلى

الصحف . . إلى بيع السجق . . إلى العمل عند بلدياتى . . إسحاق . . بلدياتى من أسيوط وهنا يسمونه « ايزاك » . . وكان «ايزاك » أسوأ من أى واحد نمساوى . .

« عرفان » : « ايزاك » لم يكن سيئًا . . وإنما هو مصرى شرقى صميم . . اسمع يا « بدوى » أنت عاكست مراته . . حصل ولا لأ؟

« بدوى » : أنا ؟ هى التى عاكستنى . هى التى كانت ترتدى الملابس العريانة وأنا موجود فى البيت . . وتتمايل وتتدلل فى عناية . . يبقى المعنى إيه ؟

« عرفان » : لا ليس صحيحًا . . أنت كنت تذهب إلى بيت «ايزاك » عندما تعلم أنه مسافر . . وكانت زوجته حريصة على احترام عادات وتقاليد المصريين فكانت لا تتركك تقف أمام البيت وأنت قد جئت بلا موعد ، فكانت تجعلك تدخل بسرعة ولا توقفك على الباب . . وأية سيدة فى يوم إجازتها وفى بيتها وعلى حريتها لابد أن تكون فى ملابسها الخفيفة . .

ـ يعنى أنا قليل الأدب ؟

ـ حاجة زى كده !

« صابر » : لا داعى للخناقة ياإخواننا هذه حكاية قديمة . . اللى فات مات . . ويجب أن يموت نهائيًا . . هل فى استطاعتنا أن نغير الماضى . انتهى . المشكلة هى المستقبل .

« بدوى » : « صابر » ألم ننصحه بأن يتروى فى زواج

«مرجريت»؟ . . لأن زوجته فى مصر ستقع ميتة . . وقليل إن ما كانت ترمى ابنه « محمد » من الشباك ليسبقها إلى القبر . . ولكن جاء زواجه أحسن شىء فى الدنيا . . هى لا تبدو كبيرة . . بل ازدادت حلاوة وشبابا ، وهو إزداد وزنا وبعد أن أطلق شاربه يبدو كأنه أصغر منها بسنوات قليلة . . فهل كان فى استطاعة « صابر » ما دام حريصًا على دينه ، أن يفعل ما هو أحسن من ذلك . . أبدًا . . لو دار حول الأرض واستعرض جميع نسائها فلن يجد زوجة وأختا وأما أجمل ولا أصدق من « مرجريت » . . بلاش « صابر » أنت بالذات يا « عرفان » أنت تزوجت مصرية ونحن جميعًا نعرف ماذا حدث . . ثم تزوجت واحدة مجرية وحكايتها وصلت للبوليس وللسفارة المصرية . .

واستطاعت هى أن تبعث بخطابات إلى كل أهلك . . وزى ما أنت شايف فإن « عرفان » لا يفتح فمه بكلمة إذا ذكرنا هذا الذى حدث . . ويعتبر أنه دفع ثمن اندفاعه وطيشه غاليا جدًا . . ولا يزال يكع . . أقول ولا كفاية كده . .

« صابر » : الحل إيه ؟

« عرفان » و « بدوى » و « أيمن » : حل إيه :

« صابر » : أعمل إيه مع زوجتى وابنها وأمى وأختى وحماتى . . أقول لهم . . أنا تعبت من الكذب . . والكذب الذى أردده فى كل خطاب هو أننى لم أتغير . . وفعلا أنا لم أعص الله سبحانه وتعالى ولا مرة . . فأنا زوج على سنة الله ورسوله . . وزوجتى بين مصدقة وغير

مصدقة . . ولكن اعتقادها قوى فى إيمانى بالله . . وما دمت مؤمنا بالله فإن هذا الإيمان يعصمنى من الخطأ بأن أعرف امرأة أخرى غيرها . . وهى لا تتصور لحظة واحدة أننى تزوجت . .

« عرفان » : مع أن الزواج حلال . . ومن اثنتين وثلاثة . . ولكن القانون هنا يمنع تعدد الزوجات . .

« صابر » : إذا قررت العودة إلى مصر لأى سبب فسوف أطلق «مرجريت » . . مع الأسف . . ولكن المستحيل هو أن أحتفظ بها حتى إذا لم تجيء إلى القاهرة . . فهذا زواج وضعته الظروف الصعبة جدًا التى يمر بها أى إنسان غريب فى بلاد غريبة .

« فوزى » : إياك أن ترتكب الحماقة التى ارتكبتها أنا من قبل . . فأنا غلطت غلطة عمرى . . طلقت واحدة نمساوية واستحضرت زوجتى من القاهرة . . وبسرعة ياأخى لا أعرف كيف استطاعت زوجتى أن تعرف كل تاريخى الأسود فى هذه البلاد . . كم زوجة . . وكم صديقة وكم فضيحة وكم استجواب فى البوليس وكم تهديدًا بالطرد . . وكنت قد أخفيت كل هذه الحقائق . .

« صابر » : حتى لو كانت زوجتى مثل « مرجريت » . .

« عرفان » : لا يا حبيبى . . كان غيرك أشطر . . الصنف كله زى بعضه . . أستاذة الجامعة مثل الخادمة . . زى بعض . . كلهن ستات . . وكلهن عندهن غريزة كشف الكذب . . ولا يمكن أن نخفى عن المرأة أى شىء . . إنها تشم النساء الأخريات . كيف ؟ أنا لا أعرف أبدًا . . ياأخى يظهر على وجوهنا . . فى عيوننا . . فى

رائحة ملابسنا . . فى رائحة أجسادنا . . أنا حاتجنن لا أعرف كيف؟ . . أنا كنت قبل أن أعود إلى البيت أذهب إلى بيوت أصدقائى . . وآخد الدش . . وأضع العطور . . وأغسل أصابعى وأسنانى . . وفى لحظة واحدة تجدها ياأخى عرفت بسرعة أننى غيرت الكولونيا فأين كنت ؟ ثم إن الكولونيا التى وضعتها جديدة لأن رائحتها ما تزال قوية . . وليست لى رائحة عرق فهل لم أذهب إلى عملى ؟ . . ورائحة فمى معجون أسنان فأين كنت ؟ . . تصوروا دول أولاد عفاريت . . فالزوجة ضابط شرطة ومباحث ومخابرات لا يتعب ولا يزهق ولا يمل . وتنكد عليك عيشتك فى أحلى ساعات الليل عندما تدخل إلى فراشك أو عندما تنهض منه . . وقد تعرف الزوجة كل شىء من أول لحظة ولكنها تنتظر . . حتى تتجمع لديها معلومات أكثر وأكثر ، اسكت لا تأمن لزوجتك حتى لو كانت لا تغادر سجادة الصلاة . . أبدًا !

« فوزى » : أنا كنت قد وعدت زوجتى أن نلتقى هنا . . فهل يضايقكم أن تجلس معنا بعض الوقت . . ومن الممكن أن تشترك فى الحديث وهى قادرة أن تفيدنا فهى على دراية بمشاكل الحياة الزوجية لأنها تعمل باحثة اجتماعية ودرست علم النفس وعلم الاجتماع . . وهى الأخرى تفتشنى يوميا . . لا تفتش جيوبى ولكن تفتش فى أعماقى . . ويا أخى لا أعرف كيف تكشفنى ولذلك لم أعد قادرًا على أن أخفى عنها حاجة . . أحيانا أحاول وأقول لها كلاما منطقيًا قد فكرت فيه كثيرًا فتستمع وتسمع فى صمت تام ، وبعد ذلك تقول لى

قل كلامًا آخر فأنت كذاب ياحبيبى !

« صابر » : وتكون كاذبًا . .

« فوزى » : طبعًا أنا كذاب على طول !

« صابر » : وليه ؟ . .

« فوزى » : بيقول لك ليه . . وهوه فيه حد فى أوروبا كلها صادق إلا أنت . . كلنا كذابون !

« بدوى » : وأنا ؟

« فوزى » : أنت أستاذى ياحبيبى أنا تعلمت الغش على يديك . . أنا أول ما وصلت هنا قلت لى : اشتغل على الجو ده . . وكان الجو بنتا حلوة . . وحياتك اشتغلت عليها . . وكانت أول واحدة تزوجتها . . وقد ذقت المر أشكالاً وألوانًا على يديها . . إنها شورتك . . والثانية قلت لى : اكذب عليها . . اكذب . . حتى تصدق أنت أكاذيبك . . وكذبت ودخلت السجن وأنت السبب ياروح قلبى !

وجاءت زوجة فوزى . . إنها فتاة نمساوية شقراء جميلة رشيقة . . وتتكلم العربية وقادرة على أن تكون مفهومة . . ووقفوا لتحيتها . . وهى بسرعة قالت : لازم عندكم مشكلة . . هل هى مشكلة «صابر» طبعًا ليست له مشكلة مع « مرجريت » . . لابد أن تكون عنده مشكلة فى مصر . .

الجميع فى ذهول قالوا : بالضبط كده .

« فوزى » يابنت العفريتة . . جالكم كلامى . . إنها معى هكذا . . ليلاً ونهارًا . . أروح منك فين ؟ . .

ـ وتروح ليه . . أنت قاعد وأنا قاعدة لك . . عاوز تمشى خد أولادك الثلاثة معاك وإن كانوا خسارة فيك . .

« فوزى » شاطرة ياأختى . . اقعدى قولى « صابر » يعمل إيه . . « ياليليان » ركزى معانا « ياليليان » .

« ليليان » : فى إيه ؟

« صابر » : أريد أن أعود إلى مصر فماذا أعمل فى « مرجريت» . .

« ليليان » : خذها معك إلى مصر .

« صابر » : وزوجتى .

« ليليان » : وهى أيضًا زوجتك . . هذا إذا وافقت هى أن تسافر معك إلى مصر وتترك فيينا . . لا أظن أنها ستترك فيينا لأى سبب . . حتى لو ظلت زوجة لك . .

« صابر » ولكن أنا لا أريد أن أتركها هنا . . ولا أستطيع أن آخذها إلى مصر . .

« ليليان » : لا يبقى إلا أن تأتى بزوجتك الأولى وتجمع بين زوجتين وتواجه المجتمع والقانون . .

« صابر » : والحل . . إن «مرجريت » ساعدتنى كثيرًا ولا تزال ولا أنسى فضلها وأدبها وحبها وحنانها وشهامتها أيضًا . . لولاها يا «ليليان » لما استطعت أن أبقى هنا شهرًا واحدًا . . وهل جزاء

«مرجريت» أن أطلقها أو أهجرها أو حتى أسىء إليها . .

« ليليان » : إذن تريد « مرجريت » أن تتركك وأن تطلقك . . ما دمت غير قادر على ذلك . .

« عرفان » : تمامًا كما حدث لى . . عندما تزوجت « يوليبت » أحببتها جدًا . . واشترطت هى أن تكون العصمة فى يدها . . ومعنى ذلك أننى أستطيع أن أطلقها وهى تستطيع أن تطلقنى أيضًا . . وهى التى طلقتنى وهاجرت إلى أمريكا . . والله لا يزال قلبى ممزقًا عليها . .

« فوزى » : قلبك إيه عليها . . إنت عندك قلب . . بلاش حكاية القلب دى . . خلينا فى اللى احنا فيه دلوقت . . اسمعى يا «ليليان » عاوزين نعرف منك إيه اللى يمكن أن يعمله « صابر » . . أنت تعرفين « صابر » . . وأنت معجبة به . وأنت ترين أن « صابر » هو أفضلنا جميعًا . ما الحل ؟

« ليليان » : « صابر » ليس عنده حل . . ولكن زوجته فى القاهرة هى التى عندها الحل وكذلك « مرجريت» . . ولو عرفت «مرجريت» ما الذى نقوله هنا لقررت هى أن تترك « صابر » فورًا . . ونحن كلنا نعرف أن « مرجريت » عندها شخصية قوية وعندها كرامة . . وهى عندما تزوجت « صابر » تزوجته عن حب وعن إعجاب . . واحترام للشاب الذى قرر أن يقف بمبادئه فى وجه كل شىء فى فيينا . . وفى أوروبا . . إنها أحبت شابًا قويًا . . قوى الشخصية قوى الإيمان . . وعاشقًا غيورًا . . وكل هذه الصفات تجعل من الصعب عليها أن

تتركه وتفضل أن يتركها هو . . وهذا يجعل الموقف أكثر صعوبة . .
آه . . نسيت شيئًا هامًا جدًا . . من يدرى ربما كان الحل هنا . .

وفتحت حقيبة يدها . . وأخرجت خطابًا وقدمته إلى « صابر » :
يبدو أن فى الخطاب شيئًا هامًا . . فمرجريت طلبت منى أن أمر عليها وقد لاحظت أن وجهها حزين جدًا . . ثم طلبت منى أن أسلمك هذا الخطاب فى يدك وأصرت على أن يكون ذلك فورًا . . فأنا شديدة الأسف وأرجو ألا يكون شىء فظيع قد وقع فى القاهرة غير الزلزال . . وإن كانت ملامحها تؤكد ذلك . .

ونهض « صابر » والعيون تتجه إليه . . وهو يفتح الخطاب . . وهو يقلب الخطاب فى يديه . . وهو يقول : لا أعرف هذا الخط ياترى من الذى بعث به . .

ويفتح الخطاب ووجهه تتغير ألوانه . . ثم يسقط الخطاب من يده . . وهو ينهار على مقعده . . ويتزاحمون حوله . . وتمتد الأيدى إلى الخطاب . . ويتناولونه . .

لقد انهار البيت على زوجته . . فماتت ومعها أمها وأختها . . وعاش ابنه . .

جميعًا يقولون : لاحول ولا قوة إلا بالله !

الحلقة السادسة

عرف « صابر » الحزن والسرحان والبكاء والضعف وأحس أن الدنيا قد انتهت . وعليه أن يجمع ملابسه وأوارقه ويقفل الباب فى وجه أى أمل . . وأنه مصدر تعاسة لكل الذين حوله . .

فقد ولدته أمه وهو ابن سبعة شهور . . وكادت أن تموت . . وكان هو السبب . . وبعد سنة واحدة من ولادته انفصل أبوه عن أمه لأسباب عائلية . . لخلافات بين العائلتين . . ويوم دخل الجامعة مات أعز أصدقائه . . ويوم تخرج فى الجامعة كان عليه أن يمشى فى جنازة الفتاة التى أحبها ووعدها بالزواج . . فقد ماتت فى حادث سيارة وهى قادمة من الإسكندرية مع أختها . .

وحبه الكبير لزوجته لم يمض عليه سوى سنتين وكان لابد أن يذهب إلى فيينا بحثًا عن عمل أفضل ومستقبل أحسن له ولزوجته ولابنهما . . ولم يكد الطفل يكمل السنة الأولى ويكسر أيامًا من الثانية حتى ماتت زوجته « تهانى » بسبب زلزال القاهرة . . وكان الممكن أن

تحدث معجزة لتنجو الأم وطفلها . . فحدثت نصف معجزة ونجا الطفل فقد تمسكت به والدة صابر حتى تعود الأم من عيادة الطبيب . . وبعد أن ذهبت إلى الطبيب انهار البيت على « تهانى » والطبيب والمرضى . .

ولم يستطع أن يسافر فى نفس اليوم أو حتى فى نفس الأسبوع ليمشى فى جنازة زوجته . فقد تحتم عليه أن يحضر تسجيل بعض الأوراق فى المحكمة ، وكان لابد أن يحضر بنفسه ومعه زوجته «مرجريت» . . ولولا « مرجريت » هذه لانهار هو الآخر وسقط تحت زلزال الانفعال الشنيع الذى حطم قلبه وعقله حزنًا على الذى أصاب زوجته . .

وفى مطار فيينا اقتربت منه « مرجريت » وقالت له : « صابر » . . حتى إذا لم تعد فسوف أظل أحبك . . حتى إذا لم تمكنك الظروف من دعوتى لزيارة القاهرة والوقوف فيها إلى جانبك بعض الوقت فإن شعورى العميق لك لن يتغير . . فأنا لم أتزوج نزوة . . ولا توريطة . . وإنما بعقلى وقلبى . . وسوف أبقى على حبك . . أتمنى لك التوفيق وأن تجد من يهون عليك . . وسوف تجدنى فى انتظارك دائمًا . .

ـ أنت عظيمة يا « مرجريت » . . عقلك كبير وقلبك أكبر . . أنت نعمة من عند الله . . وسوف تبقين دائمًا يا « مرجريت » . . سوف أتصل بك غدًا انتظرينى .

ـ سوف أنتظر دائمًا !

وفى مطار القاهرة رأى من بعيد والدته فى ملابسها السوداء وأخته . . وخالته وبنت خالته . . وكانت أمه هى الأشجع . . تقدمت له وعانقها وقبلها وبكى الاثنان بلا كلام . . وخرجوا جميعا فى صمت . .

فقالت له أمه الحاجة « عديلة » : ابنك فى الحفظ والصون ياحبيبى . .

ـ لم يحدث له شيء . . قولى لى ياماما أرجوك . . إننى بفضل الله قادر على أن أتحمل أى صدمة . .

ـ والله يا ابنى فى صحة وعافية . . ولكنه صغير يا ابنى وقد تركته فى البيت .

ـ مع من ياماما ؟

ـ مع « ماجدة » .

ـ « ماجدة » مين ؟ .

ـ « ماجدة » بنت خالتك . . قاعدة عندنا اليومين دول . . اتطلقت من زوجها . . أخذ فلوسها وهرب إلى السعودية . . وبعث لها ورقة الطلاق . .

ـ ندل !

ـ بعدين يا ابنى . . أنت فى إيه ولا فى إيه . . ربنا يسترها يا ابنى من غيرها كان الولد مات . . إنها مثل أمه . . أكثر من أمه . . إنها أخذت إجازة من شغلها فى وزارة الخارجية وقاعدة بالطفل ليلاً

ونهارًا . . ربنا يقطع من هنا ويوصل من هنا . . حاجة غريبة يا ابنى الولد شبه « ماجدة » . . كأنه ابنها . . كل الناس يقولون كده . . وهى أيضًا . . سبحان الله . . العينان الخضراوان والأنف الصغير وشعره الأصفر . . سبحان الله . . مش وقته . . حنعمل إيه يا ابنى . .

ـ فى إيه ياماما .

ـ والله يا ابنى ما أنا عارفه أسألك عن أى حاجة . . قاعد هنا ولا راجع . . والله يا ابنى مصيبة كبيرة . . عين وصابت يا ابنى . . عين وصابت . . ربنا يكملها بالستر يا ابنى .

ـ آمنت بالله ياماما . . كله من عند الله . . آمنت بالله .

* * *

فى بيت والدته جاء « فوزى » و « بدوى » و « ليليان » . .

والدته سألتهم : متى جاءوا . .

لقد تصادف وجودهم فى القاهرة يبحثون عن شقق يشترونها . . فقد قرروا العودة . . فكل واحد عنده بيت . . ولا يستطيع أن يعيش مع بنات فى فيينا . . المجتمع لا يمكن احتماله لأى رجل شرقى . . فلابد من العودة إلى مصر . .

وقد انتحى فوزى بصابر وسأله : حتعمل إيه .

ـ مش عارف .

ـ الطفل سوف تتركه لوالدتك أو تأتى به وتضعه فى إحدى رياض

الأطفال فى فيينا . .

ـ مستحيل طبعًا . .

ـ إذن أنت لم تقرر بعد . . لا تنس أن تتناقش معى فى كل شىء خاص بابنك . . ولكن يجب ألا تترك عملك فى فيينا . .

ـ والله ما أنا عارف . .

واقتربت منه « ليليان » : تجىء بالطفل إلى فيينا لتتولى «مرجريت» رعايته والاهتمام به . . إنها لم ترزق أولادًا وسوف يكون عزيزًا عليها . . ولن تجد من هو أفضل منها . . صدقنى إننى فكرت كثيرًا . . وهذا آخر ما اهتديت إليه . .

و « بدوى » سحبه إلى جانب وقال له : المنظر الذى أمامى يؤكد أن والدتك قد فكرت بسرعة وقررت وأنها متأكدة أن هذا قرارك أيضًا . .

ـ يعنى إيه ؟

ـ يعنى أن أمك سوف تعرض عليك الزواج من بنت خالتك .

ـ إيه اللى أنت بتقوله ده .

ـ وجهة نظر . . ولا تنس أن بنت خالتك هذه هى التى انتحرت يوم تزوجت « تهانى » . . لأنها كانت تحبك وأنت الذى طمعتها بالزواج منك . أنت الذى شجعتها يا أستاذ . . ثم ظهرت « تهانى » فتعلقت بها وأحببتها وتزوجتها . . أنت نسيت يا أستاذ !

ـ فى عرضك . . اتركنى فى حالى والهم اللى أنا غرقان فيه . .

ـ هذا هو حالك . . وهذه هى أسرع طريقة لإنقاذك من الغرق . . إن ابنك الصغير هو الذى سيفرض عليك شروطه . . لكى يعيش أفضل ويعيش على مبادئ إسلامية شرقية . . هذه المبادئ لا تعرفها « مرجريت » مهما كان حبها لك . . ما علينا . . أنا فقط قرأت وجه الحاجة « عديلة » حبيبة قلبى . . وأمى رقم ٢ . .

ـ أنت جايب الكلام ده منين .

ـ من هنا (ويشير إلى قلبه وإلى عقله) .

ـ وتقترب والدته منهما وتتساءل : عن أى شىء تتكلمان . .

ـ لا شىء ياحاجة . .

ـ حتقول إيه يا ابنى . . إنها إرادة ربنا . . آمنت بالله . . كل ده كان مستخبى لك فين يا « صابر » . . عين وصابت يا ابنى . .

ـ إرادة ربنا ياماما . . إرادة ربنا . . ربنا أحكم وأعلم وألطف الحمد لله على كل شىء . . وبشر الصابرين . . الحمد لله . .

ـ ربنا يا ابنى يديم عليك نعمة الإيمان . . ربنا يمتحن عبده من حين إلى حين . .

ـ امتحانات صعبة ياحاجة . .

ـ يا ابنى حرام أنت مؤمن يا « صابر » . .

ـ نعم مؤمن ولكن الامتحان موجع ياماما . . أنا لا أعترض وإنما أقول آه فقط . . آه بالقوى ياماما . . آه على المسكينة التى اختارها ربنا . . وعلى المسكين الذى لا هو عارف هو ابن مين . .

ـ ابنك يا ابنى وربنا يخليه يتربى فى عزك وحضنك يا ابنى . . آمنت بالله . .

ويقترب « فوزى » من الحاجة « عديلة » ويقول لها :

والله ياحاجة أنا كنت أتكلم مع « صابر » عن اللى حيعمله . . قاعد هنا . . ولا راجع . . راجع وحده . . ولا مع الطفل . . وأين سيضع الطفل ؟ . . وإذا تركه فمن الذى سيقوم بدور الأم ؟ . .

ـ أنا يا ابنى . .

ـ تسلمى ياحاجة . .

« صابر » : والله ياحاجة أنا مش قادر أفكر دلوقت . .

ـ يا ابنى مش دلوقت . . بكره بعده يا ابنى . .

ـ إن شاء الله . .

* * *

كانت الأم جالسة على السرير تشكو من ألم فى ساقها . . وجلس هو إلى جوارها على السرير . . يشربان القهوة قالت له : « صابر » يا ابنى ياحبيبى .

ـ نعم ياحاجة . .

ـ نعم الله عليك يا ابنى . . ريح قلبى قبل ما أموت يا ابنى . .

ـ تعيشى ياماما . . أنا عمرى تعبتك ياماما . .

ـ أبدًا يا ابنى أنت طول عمرك عاقل . . وطول عمرك حنين . .

ومش عارفه ليه حظك كده يا ابنى . . اللهم لا اعتراض على حكمتك . .

ـ نعم ياماما . .

ـ انت عارف ياسى « صابر » . . مفيش غير « ماجدة » بنت خالتك . . أحسن منها فى الدنيا كلها مفيش يا ابنى . . وهى راضية على الحلوة والمرة . . وهى مستنياك طول عمرها . . ويوم تزوجت «تهانى » قالت لى وربنا شاهد على كلمة قالتهالى . . قالت : ياخالتى سوف انتظره طول عمرى . . وسوف أكون جاهزة فى أى وقت . . ولن يكون لى أولاد إلا منه . . وقد تخانقت مع زوجها بسبب الخلفة . . وهى منعت نفسها . . وربنا شاهد على كل كلمة باقولها . . وقالت لى كده . واسأل « بدوى » .

ـ « بدوى » مين ؟

ـ صاحبك . .

ـ هو يعرف . . .

ـ أنا قلت له إن « ماجدة » قالت وقالت . . « بدوى » بيحبك يا ابنى وأنا باحس دائماً أنه أخوك وأنه ابنى . . وكان متعجبًا . . ولما طلقت « ماجدة » هو اللى ضرب تليفون من فيينا وقال لى : أؤكد لك أنها لن تتزوج . . وأنها فى انتظار إشارة من « صابر » . . زوجة ثانية . ثالثة . . رابعة . . إنها فى انتظاره دائماً . . إرادة ربنا أن يحصل اللى حصل . . ولو تشوف عاملة فى ابنك ايه . . لو أخذنا منها الولد سوف تقتل نفسها يا ابنى . . الناس مندهشة إزاى أخذت أجازة من

شغلها وقاعدة بالولد ليل نهار . . ورايحة جاية به عند الدكتور . . كأنها أمه . . والله يا ابنى يمكن أمه ما كنتش حتعمل كده . . وهى تعمل ده من قلبها ياابنى !

ـ ليه بس كده يارب . . مش قادر ألاقيها من هنا ولا من هنا . .

ـ يا ابنى أرض بحكم ربنا يا « صابر » . . أنت مؤمن ياحبيبى . . ولازم تقول لى حالاً دلوقت . .

ـ أقول إيه ياماما ؟ . .

ـ تقولى لى أنا . . كلمة واحدة . .

ـ كلمة إيه ؟

ـ إنك لازم تتجوز « ماجدة » . . . . مش النهارده . . لابكرة . . كلمة واحدة . . وسيب الولد وشوف شغلك يا ابنى . . وابقى اسأل عليه بالتليفون . .

ـ فيه حاجة ياماما أنا ماقلتهاش لك . .

ـ عارفه يا ابنى . .

ـ عارفه إيه ؟

ـ عارفه إنك متجوز « مرجريت » وفرحت قوى يا ابنى . . «بدوى» قال لى عليها وعلى أخلاقها وعلى نبلها . . وعلى أنها سيدة عظيمة وأن حبها لك قد حببنا جميعا فيها . . عارفه ياحبيبى . .

ـ ورغم كده عاوزانى أتجوز « ماجدة » . . واحدة هنا وواحدة هناك . .

ـ انت نسيت أن « ماجدة » خالها السفير اللى عندكم . . وأنها إذا سافرت معاك سوف تعمل فى السفارة . . أنت ناسى أنها درست لغات . . وأن من أحلامها أن تعمل فى الخارج . . أنت نسيت يا «صابر » . .

ـ والله ما أنا عارف ياماما . . أنا متلخبط . .

ـ عارفه يا ابنى الله يكون فى عونك . . ولكن الطفل الصغير هو اللى محتاج للعناية فى كل لحظة . . كلمة منك وينتهى كل شىء على خير . .

ـ قولى أنت ياماما . .

ـ أنا برضه يا ابن الأصول اللى أقول يا « صابر » . .

ـ طيب ياماما . .

ـ ربنا يهدى سرك يا ابنى ويصبرك . . ويكملك بإيمانك وعقلك . . الحمد لله . . ربنا أخذ بنت حلال وبعث لك بنت حلال تحبك وكانت تنتظرك طول عمرها . . وربنا شاهد على كل كلمة باقولها . . إن أول علقه أخذتها من زوجها لأنها غلطت وقالت له يا « صابر » . . وحاولت تقنعه أن« صابر » هذا ابن خالتها . . وهم أطفال يلعبون . . وتناديه ويناديها . . ولم ينس لها هذه الغلطة . . الحمد لله على كده ، وربنا يكمل بخير وسلام . . مبروك يا ابنى . .

ـ إرادة ربنا . . آمنت بالله . .

الحلقة السابعة

فى مطار فيينا كانت « مرجريت » فى انتظاره . وقد ارتدت فستانًا أسود طويل الأكمام . وحملت فى يدها باقة من الورد . . وكانت معها زوجات الزملاء المصريين . . والحاج « عبد اللطيف درويش » من أغنياء فيينا . . وقد وضع وردة بيضاء فى الجاكتة وفى يده عصا . . وهو رجل لطيف . .

واقترب منهم « صابر »وكان الحاج «عبد اللطيف أسبق الجميع وعانقه وهو يقول له : الصبر يا « صابر » . . تشجع أنت جدع ويجب أن تبقى جدعا . . وأنت مؤمن ويجب أن تبقى مؤمنا . . شكلك مش عاجبنى . . أصفر شاحب . . كبرت عشر سنين . . أنا أجدع منك . . أنا زوجتى واثنان من أبنائى غرقوا فى الباخرة المتجهة إلى السعودية . . وادينى أمامك زى العفريت . . إنها أعمار وقضاء وقدر . . والحزن على الميت لا ينفعه ولا ينفعنا . . وسوف نموت ولا نجد من يحزن علينا . . خليك راجل وانت راجل يا

«صابر» البقية فى حياتك وتعيش وتربى ابنك أحسن تربية . . ألم يأت معك أحد . . كنت أظن أن والدتك سوف تأتى والطفل معها . . كيف حالها يا « صابر » . .

ـ الحمد لله . .

ـ ما تزال ساقها توجعها . . ولماذا لم تأت هنا للعلاج . . بعدين . . المهم أنت . .

« مرجريت » تعالوا سلموا على « صابر » (وأشارت إلى زوجات زملائه الموجودين فى القاهرة فى إجازة قصيرة) . .

ـ ازيك يا « صابر » . . خليك قوى . .

ـ شكرًا يا « متلده » .

ـ لازم تتشجع يا « صابر » أنت رجل مؤمن . .

ـ شكرًا يا « ماريا » . .

ـ « مرجريت » حكت كل شىء و « مرجريت » شديدة الحزن . . وبكت كثيرًا . . ولكنها لن تبكى أمامك حتى لا تبكى أنت أيضًا . .

ـ شكرًا يا « ديانا » . .

ولف ذراعه حول « مرجريت » . . وخرجوا جميعا من المطار . .

* * *

فى البيت كانت « مرجريت » قد غيرت ترتيب البيت . . والتفت « صابر » إلى منضدة عليها ورد حول صورة كبيرة لـ « تهانى » . .

وتوقف أمام الصورة وسأل « مرجريت » كيف ؟

ـ أنا طلبتها قبل وفاتها . . وكنت سأجعلها مفاجأة سارة لك . .

واقترب من « مرجريت » وعانقها وقبّلها وقبل يديها . .

ـ أنت عظيمة يا « مرجريت » . . كل يوم تكبرين فى نظرى . . كل يوم أزداد حبا واحتراما لك . . وأرى أنك أكبر تعويض دفعته السماء عن الكوارث التى أصابتنى بعد ذلك . . أنت تعويض دفعته السماء مقدما وأخيرًا . .

ـ هل فى استطاعتى أن أسالك .

ـ عن أى شىء ؟ .

ـ عن أى شىء يقلقك . . الولد أين هو ؟

ـ مع والدتى . .

ـ وهل تستطيع تربيته والعناية به ؟ . .

ـ نعم . .

ـ ولكنها سيدة وحيدة مريضة . .

ـ سوف تأتى بمربية . .

ـ ولماذا لا أكون أنا المربية ؟ !

ـ أشكرك . . ربنا يخليك يا « مرجريت » يا أحسن زوجة وأعظم أخت وأروع أم . . يانعمة من عند الله . .

ـ صارحنى يا « صابر » . . ماذا فكرت . . هل تستطيع أن تبقى

هنا وابنك هناك .

ـ لا . .

ـ هل تستطيع أن تعود إلى مصر بعد أن نجحت فى عملك . . ومن الممكن أن تنجح أكثر . .

ـ لا أستطيع أن أبعد عنك . . لا أستطيع مطلقًا . .

ـ إذن . . لا تستطيع أن تبعد عن ابنك . . ولا تستطيع أن تبعد عنى . . فإما أن أذهب أنا إلى مصر وإما أن يأتى هو إلى فيينا . .

ـ لا هو يجىء ولا أنت تذهبين . .

ـ كيف ؟

ـ أن اموت أنا !

ـ أنت تطلب من الله أن يعاقبنى . .

ـ لا . . وإنما أن يريحنى . .

ـ يريحك ويعذبنى ويعذب أمك وابنك . .

ـ لا أعرف ما الحل . .

ـ ليس الآن . . سوف نفكر فيها بعد . .

ـ . . . .

* * *

وظل « صابر » يتحدث تليفونيًا كل يوم إلى أمه . . طبعا ويسأل عن الطفل . . وكان لا يجد الأم وإنما كان يجد « ماجدة » . . وهى التى تحدثه عن صحة الطفل . . وأنه أحسن من كل الأطفال . . وأنه

يزداد صحة وأنه يضحك . . وأنها تعرض صورته على ابنه لكى يعرفها . . ويعرفه . . وأن الملابس التى بعث بها جميلة . . وأنها التقطت له صورًا مع كل اللعب والملابس . . وأنها سوف تبعث له بصورة تجنن . . صورته وهو يلعب . . وراء صورة والده . . وصورته وهو يقبل « صابر » . . وصورته وقد رسمت له شاربا ونكشت شعره . . والذى يراه يخيل له أنه « صابر » الصغير . .

إن هذه المكالمات التليفونية كانت مصدر سعادة له . . وهو حـكى ما يـدور بينه وبين « ماجـدة » بشأن ابنـه لكل النـاس . . ولـ «مرجريت» أيضًا .

وكان يندهش أن أمه لا تنتظر مكالمته حتى عندما يحددها . . يبدو أن أمه كانت حريصة على أن يكلم « ماجدة » . . وكانت تسأل « ماجدة » عن كل كلمة قالها . . وما الذى أحبه وما الذى ضايقه . . وكيف أنه يضحك من كل قلبه . . عندما سمع من « ماجدة » أنها تركت الطفل لحظة فوجدته ابتلع قطعة من صورة والده . . ابتلع أنفه . . فالطفل أنفه صغير . . ومن يدرى ربما أدى الأنف الذى ابتلعه إلى أن يكبر أنفه أيضًا . .

وكان « صابر » يروى كل شىء لزوجته « مرجريت » .

وطلبـت « مرجريت » من « صابر » أن يتحـدث إلى والدته من البيت وليس من المكتب . . إنها تريد أن ترى السعادة على وجهه . . إنهـا تحب أن تراه سعـيدًا . . وأن تـرى الإشـراق والبهجـة يعودان إليه . .

وفى يوم عاد « صابر » إلى البيت ليجد « مرجريت » قد كتبت له مذكرة بجوار التليفون . قرأ المذكرة :

حبيبى « صابر » . . طلبوك من مصر أربع مرات اليوم . ولابد أن تتصل بهم . الأمر هام . ولكنه ليس سيئًا . لا تقلق . يبدو أنهم انتقلوا إلى شقة جديدة ورقم تليفون جديد . . وسوف يحدثونك عن ذلك . . أمك لطيفة جدًا . لقد حدثتنى بلطف . وشكرتنى على كل ما قمت به لك . . وإنها تعرف كل شىء . . سوف أعود فى المساء . قبلاتى الحارة الصادقة . . وإلى الأبد . « مرجريت » .

وجاء صوت أمه من القاهرة تقول له : مفاجأة . . لقد انتقلت «ماجدة» إلى شقة فى عمارة والدها . . الشقة جميلة على النيل . . الولد قاعد طول الوقت فى الشمس فى البلكونة . . الجو دافئ عندنا . . ولو بقيت وقتًا أطول فى القاهرة لرأيت الشقة ولكنك كنت مستعجلا .

ـ أين أنت ياماما ؟!

ـ ياابنى أنا موجودة . . أنا عاوزاك تتكلم مع « ماجدة » يا ابنى . . برضه دى بنت خالتك وأنت أملها فى الدنيا . . وعاوزه تسمع صوتك . . أما أنا فصوتك فى قلبى وفى ودانى طول الوقت . .

ـ والله انت مكارة ياماما . .

ـ ربنا قال على نفسه إنه خير الماكرين . . مش كده برضه !

ـ كده ياماما . . ربنا يخليك ياماما . فيه ناس سألوا عنك بالقوى . .

ـ مين يا ابنى .

ـ الحاج « عبد اللطيف » .

ـ ازيه يا ابنى .

ـ كويس زى العفريت . . كان فى المطار . . وحاطط وردة بيضاء فى الجاكتة وعايق زى ما هوه . . منتهى التصابى والفرفشة إنه لا يكف عن الضحك . .

رغم من كل المصائب . .

ـ لا يحمل لدنيا أى هم . .

ـ والله معاه حق يا ابنى . .

ـ أهوه أنت عندك نموذج كويس للرجل الذى هو أقوى من المصائب والشدائد والله الصبر من عند ربنا . . ربنا يلهمك الصبر ويدى لك طولة العمر . . امال بسلامتها « مرجريت » راحت فين ؟

ـ سافرت خارج فيينا وراجعة بالليل . . قالت لى إنك شكرتيها . . على كل ما قدمته لى وهى سعيدة بذلك . .

ـ ربنا يخليها لك يا ابنى . . والله ما أنا عارفه حتعمل فيها إيه يا ابنى . .

ـ تفتكرى واحد ابن أصل زيى يعمل إيه ياماما . . واحدة

أكرمتنى هل أهينها . . واحدة ساعدتنى واحدة شجعتنى . . والله من غيرها ياماما ولا كنت قعدت فى البلد دى لحظة واحدة . . واحدة أطفأت السيجارة فى فمى . . أول سيجارة وآخر سيجارة . . واحدة ترفض أن تقدم الخمور فى بيتها . احترامًا لى رغم أنهم يشربون الخمور أكثر من الماء . . واحدة اشترت سجادة لكى أصلى أمام الناس . . وليس فى ركن من البيت . . واحدة أسلمت من أجلى . . وإن شاء الله سوف تحج هذا العام . . وقد اختارت لنفسها اسم الحاجة « فاطمة » . . إيه أحسن من كده فى الدنيا ؟!

ـ ربنا يكرمك يا ابنى . . واللى فيه الخير يعمله ربنا يا ابنى . .

* * *

بعد أن فرغ من قراءة الصحف امتدت يده إلى يدى « مرجريت » وقبلها وقال لها : « مرجريت » .

ـ نعم .

ـ عندى كلام كثير .

ـ وأنا أيضًا .

ـ نتعشى الليلة خارج البيت .

ـ أحسن فكرة . .

ـ أنت عارفه عن أى شىء سوف أكلمك . .

ـ خليها مفاجأة سارة ؟

ـ الجلسة معك هى السرور كله . . وأنت عندك كلام ؟

ـ نعم .

ـ ماذا ؟

ـ مفاجأة .

ـ سارة ؟

ـ مؤكد .

ـ أنت دائماً أحسن منى فى الكلام وفى التفكير . . وأنت كل يوم تؤكدين لى أنك أعظم وأروع واحدة فى الدنيا . .

ودق جرس التليفون من القاهرة :

أهلا يا « ماجدة » . . وانت كمان . . كده . . ظهرت له سنة واحدة . . وهو الآن يضحك لواحده . . آه . . كنت « منتظر » إنك تبعتى لى « جواب » وصور العكروت ده . . « مرجريت » ، آه طبعًا موجودة . . منورة . . أنا اللى ساكن عندها . . يعنى إيه . . عندما تعرفيها سوف تفرحين بها . . إنها أعظم سيدة فى البلد ده . . فيه إيه . . ضيوف ؟ طيب . . وعليكم السلام . .

وظهر الضيق على وجهه . . وكانت « مرجريت » قد لاحظت كل ذلك . وحاول أن يفسر لها ما حدث ، ولكنه لم يستطع أن يقول لماذا تغير كل شيء عندما ذكر اسمها . . وكيف أن المكالمة قد انتهت فجأة . وتضايق مما حدث . وتضايق أكثر أنه كان أمام «مرجريت» . . وأنه لم يعرف كيف يفسر لها بالضبط ماذا حدث . ولكنها لم تكن فى حاجة إلى ذلك . .

وفى الطريق إلى المطعم وفى السيارة لم يدر بينهما كلام . . وكانت «مرجريت » تنظر إليه باهتمام شديد . وهى تعرف كم هو يحبها . . وتعرف أيضا كم هو حائر فى تربية ابنه . . ولابد أن أهله فى القاهرة قد وجدوا له حلا . . ولا يمكن أن تكون « مرجريت » هى الحل . . وهم يعرفون كل شىء عنها . ويعرفون أنها تزوجت مرتين قبل ذلك ولم ترزق بطفل . فالعيب فيها . . وربما تركها زوجاها السابقان لهذا السبب . . ولابد أنها لا تحب الأطفال أوتحقد على الذين عندهم أطفال . ولا يمكن أن ترى طفلاً لزوجها من امرأة أخرى حتى لو كانت قد ماتت . . إنها طبيعة النفس البشرية . .

وفى المطعم وفى ضوء الشموع ظهرت « مرجريت » أكثر جمالا . . بل إنه لم يرها أجمل من ذلك اليوم . . إنها ارتدت فستانًا ليس أسود ولكنه قاتم . . وكان وجهها جميلاً وشعرها طويلاً على جبهتها الجميلة وعلى خديها . . وعنقها الرقيق . .

« مرجريت » : ماذا ترى . . هل تراني جديدة عنك ؟

- بل جميلة . . . أجمل من أى يوم رأيتك فيه . . إننى أحبك يا «مرجريت » أحبك حقا وصدقا . . ولم أتوقف عن حبك فى أية لحظة . . لا تقاطعينى يا « مرجريت » . . دعينى أملأ عينى منك . . أى جمال أودعه الله فى عينيك . . وأى صفاء . . وأى حب . . سبحان الله . . آه يا « مرجريت » لو رأيت الذى أرى لسقطت فى غرام نفسك . . وأى وجه هادئ جميل عميق . . سبحان الله كل هذا الجمال فى وجهك . . وأنفك الأشم . . كيف يكون الأنف نموذجًا

للكبرياء فى غير غطرسة . . وللأبهة فى غير غرور . . كل هذا أعطاه الله لى . . كيف لا أشكره عليك . . شكرًا لك يارب . . آه لو كان الله قد جعل ابنى هذا منك أنت . .

ـ لا تقل . . كفى !

ـ أنت على يقين من أننى أحبك .

ـ نعم .

ـ ولن يتغير . .

ـ . . . . . .

ـ لن يتغير يا « مرجريت » . . فأنت أقوى من أى شىء . أنت التغير الحقيقى فى كل حياتى . .

وانتهى العشاء . . وقد أحست « مرجريت » أنه كان فى نيته أن يقول شيئًا آخر . .

وأحس أنه كان فى نيتها أن تقول شيئًا . .

ولكنهما سعيدان . .

الحلقة الثامنة

ـ أنا أكلمك من المكتب . . فقد لاحظت أنك لا تستريحين إلى الكلام من البيت وفى حضور «مرجريت » أوعلى مسمع منها . . لا تسيئى فهم « مرجريت » . . لولاها . .

ـ أنا أعرف كل شىء . . طانط قالت لى . .

ـ قالت لك ماذا يا « ماجدة » . . .

ـ قالت كل حاجة . . كم خدمتك هذه السيدة . . وكم ساعدتك لوجه الله . . إعجابا بأخلاقك وتمسكك بدينك . . وأنا احترمها ومعجبة بها . . ومستعدة أن أشكرها أنا أيضًا . . فأى إنسان يؤدى لك خدمة يستحق منى الشكر على ذلك . . هل أنا غلطانة . .

ـ لا طبعا . . ولكن . .

ـ المهم أن حمادة . . نائم . . ولا أريد أن أوقظه لكى « تسمع صوته وهو يقول بابا . . و » .

ـ والنبى تسجلى لى صوته وهو يقول بابا . . أرجوك يا «ماجدة» . .

مش عاوزة حاجة من هنا . . أنا أرسلت مع أحد الأصدقاء سوف ينزل غدًا عددًا من البلوزات الجميلة وتاييرا . . وبعض العطور على ذوقى أنا لأنك حتى الآن لم تختارى أى نوع من العطور . . وأرسلت لماما بالطو أسود . . ليس أسود تماما أرجو أن يعجبها . . وإذا كان ضيقا أو واسعًا من الممكن أن ترده وأنا أبعث لها بواحد مضبوط عليها . . وأرسلت شنطة لمامتك . . أرجو أن تعجبها . .

ـ لا تكلف نفسك كثيرًا . . فعندنا كل حاجة . . وأنت عارف أن ماما كانت فى باريس من أسبوعين . . ولفّت على كل المحلات وأفلست تماما وراجعة تتحسر على الذى لم تستطع أن تشتريه . . تصور !

قولى لى « ماجدة» . . قررت إيه .

ـ قصدك إيه ؟

ـ انت عارفه .

ـ انت اللى تقرر . .

ـ ماما مش قالت لك . .

ـ لازم أسمع منك أنت . .

ـ أنا كتبت لك جوابا . .

ـ هل المسافة بيننا بعيدة لدرجة أننا فى حاجة إلى جوابات . .

ـ مش عارفه أقول لك إيه . . أنت لست فى حاجة إلى أن تقول . . أنا عارفه كل حاجة . .

ـ يعنى إيه ؟

ـ كل حاجة . . يعنى كل حاجة !

ـ مش فاهم . .

ـ لولا أن حبك فوق كل وصف . . ولولا أننى لا أرى فى الدنيا سواك . . ولولا أننى مرتبطة ونحن نلعب فى الحارة . .

ـ يعنى إيه ؟

ـ يعنى أننى لولا هذا الحب العميق ما كنت وافقت أبدًا أن أتزوجك وأنت زوج لسيدة أخرى . .

ـ ماما قالت لك كل حاجة فعلاً .

ـ وبعدين ؟

ـ كما ترى . .

ـ أرى ماذا ؟

ـ مكتوب على أن أكون الزوجة الثالثة . . عندما تزوجت «تهانى» كنت فى الانتظار لكى أكون الزوجة الثانية . . والآن سوف أكون الزوجة الثانية فى فيينا . . والثالثة فى حياتك . . وكنت أتمنى أن أكون الأولى والأخيرة . .

ـ عندك حل .

ـ هذا هو الحل . وأنا أحاول أن أرضى به . . وأنا أجد لك ألف عذر . . هل استرحت ؟

ـ نعم . .

ـ وأنا سعيد أننى استطعت أن أريحك . . وأتمنى أن أكون مصدر راحة وسعادة لك أنت وابننا حمادة .

ـ مش عارف أقول لك يا « ماجدة » . . .

ـ عندى إحساس أن ربنا يحبنى . . لقد هيأ لى من وقت لوقت من يسعدنى ومن يعصمنى من الخطأ . . الحمد لله والشكر لله . . والله ما أنا عارف أشكرك إزاى يا ماجدة . . يمكن أغلط مرة وأقول لك يا « تهانى » . . أو يا « مرجريت » اعذرينى أرجوك . .

ـ عذرتك أنت قلتها لى مرة وظللت أبكى طوال الليل . . ولكن وجدت لك عذرًا .

ـ لا تنسى اننى متلخبط . . وأننى ألعوبة فى القدر . أنا لا أعرف بأى شىء ضربنى القدر . . بالكف أو بالشلوت . . اصبرى الله يخليك يا « ماجدة » . . أبعث لك ألف قبلة . . منها واحدة لحمادة . . لا إله إلا الله .

ـ محمد رسول الله . .

* * *

فى بيت والدته جلس بدوى مع الحاجة «   » أم « صابر » .
قالت له : يا « بدوى » يا ابنى ما الحل ؟

ـ مفيش غير حل واحد ياحاجة . .

ـ إيه يا ابنى ؟ .

ـ تتزوج «ماجدة » . . ويسافر بها . . ويطلق « مرجريت » . . وإن كنت أنا شخصيًا لا أعتقد أنه من الممكن يطلقها أبدًا . وبعدين القانون النمساوى يمنع الزواج من أكثر من واحدة .

ـ والحل يا ابنى ؟

ـ الحل ألا تعلن « مرجريت » أنها زوجة له . . وأنا أعتقد أنها سيدة عظيمة . . وأنها من الممكن أن تفعل ذلك . . ولكن .

ـ ولكن إيه يا ابنى ؟

ـ ما موقف « ماجدة » . . ؟

ـ هو ده اللى شاغلنى جدًا . . أنا قلت لها أن « صابر » متزوج . .

ـ لا أريد أن أخفى عنها أى شىء . . لا أريد أن أغشها . . وأنا عارفه « صابر » كان لابد أن يصارحها بكل شىء . . فصابر لا يكذب ولا يراوغ أنا متأكدة . و « ماجدة » . . عاقلة جدًا وهى الآن تعرف الحقيقة . . وهى متمسكة بصابر وحمادة . . ولكن «ماجدة» . . ست وكلنا ستات . . ومن حقها أن يكون لها وحدها . . طبيعى يا بدوى والأمر الآن بين « صابر » وبين « ماجدة » . . . . .

ـ أنا اتكلمت مع « ماجدة » . . امبارح . . وقالت لى إن الوضع الذى يختاره « صابر » سوف نوافق عليه . . مهما كان فليس عندها أغلى ولا أعز من « صابر » . . وقالت لى : أنا واثقة من أن « صابر » سوف يختار الذى يؤكد حبه واحترامه لها . . واحترام السيدة «مرجريت » أيضًا . ثم إنها ليست مستعجلة . . وأهم شىء عندها

أن تجد نفسها مع حبها الأول « صابر » . . ومع حبه الأول والثانى هى وابنه . . منتهى العقل ياحاجة ! .

ـ إيوه . . لكن الست مننا فى بعض الأحيان يركبها عفريت والغيرة تحرق قلبها . . أنت عارف يا ابنى . . ربنا يهدى سرهم . . ربنا كريم يا ابنى و « صابر » يستأهل كل خير . .

ـ طيب تحبى أتكلم مع « صابر » . .

ـ لا . .

ـ ولا مع «ماجدة » . . . .

ـ ولا « ماجدة » . . . . الأفضل أن تترك لهما كل شىء . . والحب زى ما بيقولوا يصنع المعجزات . . وقد صنع المعجزات . . فـ «ماجدة» . . كان لابد أن تترك زوجها حتى لو كانت عايشة معه فى الجنة . . فهى لم تنس « صابر » لحظة واحدة . . ومن العجيب يا ابنى أن كان عندها إحساس أنها سوف تتزوج « صابر » . . ولا أعرف من أين جاءها هذا اليقين . . قالت لى كده يوم زواجها هى ويوم زواجه هو. . وأنا كنت أندهش واسكت ! شىء عجيب . . الدنيا دى غريبة . . شوف علشان « صابر » يتزوجها انقلبت الدنيا . . وعاش اللى عاش ومات اللى مات . . وإيه اللى حصل لـ « صابر » فى فيينا وإيه اللى حصل لـ « ماجدة » . . فى الرياض . .

ـ فى الرياض .

ـ آه . . ما هى تزوجت وسافر . . إلى الرياض وتم الطلاق هناك

وعادت إلى مصر . . دول الاثنين هى وجوزها وقفا عند الكعبة وتعاهدا أمام الله على الحب . . وطلبت هى من ربنا أن يزوجها من «صابر» . . واستجاب ربنا لدعائها . . ويظهر أن زوجها لم يطلب من الله شيئًا . . لقد ضحك عليها . . وهى كمان ضحكت عليه . . وكل واحد منهما طلب حاجة ثانية . . واستجاب ربنا لدعاء الاثنين . . والله ياابنى حاجة عجيبة . . كله بمشيئة الله . .

ـ أنا سألت « صابر » ياحاجة امتى الزواج ؟

ـ قال لى يوم ١٧ . . اشمعنى ؟ لا هو ١٥ ولا هو ٢٠ !

ـ والله يا ابنى ما أنا عارفه . . آه . . أنا فهمت دلوقت . . لأن زواجه الأولانى كان يوم ١٧ . . وهو لم ينس « تهانى » لحظة واحدة . . و « تهانى » دى يا ابنى كانت حساسة زيادة عن اللازم يرحمها برحمته . .

ـ وبعدين . . لو عرفت « ماجدة » . . حتقول إيه . .

ـ « ماجدة » . . عاقلة قوى يا ابنى . . المهم عندها هو أن «صابر» رجع لها . . يوم ١٧ يوم ٢٧ مش مهم . .

ـ إنت كلمتيها ياحاجة . .

ـ لا . . ولكن أنا عارفة « ماجدة » . . . إيه ! اللى عاوزه ربنا هو اللى يصير . .

ـ خير إن شاء الله يا حاجة .

ـ ربنا كريم يا ابنى .

شيء غريب بدأ يظهر على وجه « مرجريت » . . يلاحظه «صابر» ولكنه لا يسأل . . لايريد أن يسأل . . لا يجرؤ . . ولكن «مرجريت» واثقة أكثر وعاقلة وأنضج . ولاحظ « صابر » أنها قلبت فنجان القهوة . فضحك وقال لها : أنت تعلمت قراءة الفنجان .

ـ أخيرًا .

ـ صحيح تستطعين أن تقرئى الفنجان .

ـ أحاول . .

ـ وكيف تعلمت ذلك .

ـ من « ثريا » .

ـ « ثريا » مين ؟

ـ بنت الحاج « عبد اللطيف » . .

ـ وعرفت « ثريا » أيضًا . . والله برافو عليك يا « مرجريت » . . وماذا تجدين فى فنجانى . .

ـ أنت حائر جدًا . . مرة أخرى بين امرأتين . . صح ؟

ـ ليس بالضبط .

ـ وأنت لا تتكلم فى هذا الموضوع . . ولكن كل الذين حولك . واحد . . اثنين . . ثلاثة . . كلهم يقفون وراءك ويتهامسون . . ولكن أحدًا لا يجرؤ على أن يصارحك . .

ـ غريب . .

ـ وفى فنجانك حب كبير .

ـ أنت .

ـ وحب آخر . .

ـ حب آخر لا . .

ـ ابنك ليس حبا آخر ؟

ـ إنه حب وحيد ولكن من نوع مختلف . . حب فيه الحنان والقلق عليه . . والاستعداد للتضحية من أجله بأى شىء . . أما حبك أنت فهو : الإعجاب والاحترام والسعادة والامتنان العميق . .

ـ حب آخر . .

ـ حب ثالث . . لا أظن ذلك . . هل معقول أن يحب الإنسان ثلاثة فى وقت واحد . . ممكن أربعة أنواع من الحب . . حبى لأمى وحبى لك وحبى لابنى وحبى لبلدى . . أو حبى لعملى . . كلها أشكال وألوان من الحب . . كل هذا فى الفنجان . . شىء غريب . .

وسكت الاثنان . .

وعاد « صابر » يقول لها : « مرجريت » إننى أعرفك . . إن هذا الذى تقولين ليس فى الفنجان ولكن فى دماغك أنت .

ـ صحيح .

ـ ماذا فى دماغك ؟

ـ كل الذى سمعت . .

ـ أو ضحى يا « مرجريت » . .

ـ أنت تعرف . .

ـ ما الذى أعرف . .

ـ أنت فى حاجة إلى من يربى الطفل . . وقد وجدت من يستطيع ذلك . . التى تحبه وتحبك أيضًا . صح ؟

ـ صح . وكيف عرفت ذلك ؟

ـ لا أحد يسأل واحدة تحبه حبا عميقا كيف عرفت . . إن التى تحب تسمع أكثر مما تتصور وترى أكثر مما تتخيل . . ولا تكف عن السؤال عن كل الذين حول رجلها . . فى فيينا أو فى مصر . . ولا تسألنى من الذى قال ولا من الذى قابلت . . لقد فكرت فى كل شيء . .

ـ وحدك . .

ـ لابد أن أكون وحدى . تماما كما كنت أنت وحدك فى القاهرة وفكرت وقررت . . ولا تعرف كيف تواجهنى بهذا القرار . . ولكنى أعرف . مبروك . .

ـ . . . . .

ـ ولذلك أنت تبحث عن شقة أخرى . . . وفى نفس الوقت أنا وجدت شقة لى . . أنا سوف أبعد فى المكان فقط . . ولكن سوف أظل على حبى لك . . فمن حقها أن تكون زوجة لك . وأن تكون الأقرب وأن ترى ابنك . . أعرف كل ذلك . . ولكنى راضية بنصيبى

فيك . . وسوف أكون فى انتظار ما تريد منى ولن أذهب إلى أبعد مما أعطيتنى . .

ـ . . . .

ـ نقطة واحدة باقية . . إننى لن أتسلم الشقة الجديدة إلا بعد ثلاثة شهور . . وأعلم أن زوجتك سوف تصل ومعها الطفل بعد شهر واحد . . وليس لها إلا هذه الشقة . . وسوف أترك لكما هذه الشقة مؤقتا . .

ـ إننى لا أجد الشجاعة دائمًا على المواجهة . . أنت أفضل منى كثيرًا . .

ـ إن هذا يسعدنى . . وهذا يدل على مكانتى عندك . . فأنت لا تقوى على مضايقتى . . وأنا أيضًا لا أقوى ، ولذلك صارحتك ولذلك لم تصارحنى أنت . .

ـ لا أعرف كيف أشكرك . .

ـ وأنا أتمنى لك السعادة . . وسوف أبقى دائمًا حيث تشاء . . أما حبى لك . . فلا نهاية له . . ويتعانقان . .

فى مطار فيينا وقف عدد من المصريين ينتظر العروس «ماجدة» . . ومعها الطفل « حمادة » . . كانت « مرجريت » أول من تقدم للعروس بباقة من الورد . . ومن بعدها توالت زوجات المصريين النمساويات والمصريات .

وقام « صابر » بتقبيل الطفل قبل أن يقبل زوجته . . ثم قبّل زوجته . . ونظرت « مرجريت » إلى لهفة الأب على الطفل وليس على العروس ، وأسعدها ذلك . . وكأنها قد جاءت لترى أيهما أهم عند «صابر» : العروس أم الطفل . .

رأت الطفل هو الأهم وهو الذى أتى بهذه الزوجة الجديدة . .

وتقدمت « ماجدة » . . إلى السيدة « مرجريت » وقالت لها : طبعا مدام « مرجريت » لقد حدثنى عنك « صابر » كثيرًا . . وكل المصريين أيضًا . . الجميع معجب بأخلاقك وخدماتك لهم جميعا . . وأنا أحببتك من كلام المصريين جميعا ومن كلام « صابر »

خصوصًا . . أنت أجمل من كل الصور . .

« مرجريت » : شكرًا لك ، وأنت أيضًا حديث المصريين جمالا وأصلا وأخلاقا وحبا عميقا لصابر . . إنه يستأهل حبك ، وأنت أيضًا تستأهلين حبه لك . . وكل الناس هنا يحبون « صابر » . . كلنا نحبه . . وسوف يحبونك أيضًا . . أنا متأكدة . .

وركبت السيارة مع « صابر » . والتفتت إليه تقول له : وهيه دى بقى « مرجريت » اللى أنتو طالعين بها السماء . . دى ست كبيرة . . فى سن والدتك . . اللى يسمع الحكايات والروايات يقول ياما هنا وياما هناك . .

ـ سوف تحبينها أكثر . .

ـ وأحبها ليه ؟ . . كفاية عليها حبك أنت . . حتلاقى أحسن من كده إيه . . ودى حنشوفها كل يوم .

ـ نحن سوف نعيش فى بيتها .

ـ فى بيتها ؟

ـ مؤقتًا .

ـ يعنى كام يوم .

ـ لا كام شهر . .

ـ إزاى .

ـ لا يوجد سكن بهذه السهولة فى فيينا . .

ـ أنت قلت لى إن شهر العسل سوف يكون خارج فيينا .

ـ إيوه . .

ـ وهيه سوف تكون معنا . .

ـ لا . . لا . . سوف تسافر بعيدًا وتعود إلى البيت بعض الوقت تمهيدًا للانتقال لشقة أخرى . . ولن تبقى فى هذه الشقة . .

ـ طبعًا .

ـ لأن هذه الشقة ملكها هى . . البيت ملكها . .

ـ بلاش الكلام فى الموضوع الآن . . بعدين؟ مش كده ياحبيبى؟ . .

ـ فعلا . . بعدين . . أهلا بك فى فيينا ياعروسة . .

ـ « مرسى » ياحبيبى . .

ـ تحب نعمل إيه الليلة . .

ـ أنا . . ولا أحنا الاثنين يجب أن نسأل حمادة . . هل يسمح لنا بالخروج الليلة .

ـ طبعا . . نترك الطفل لمدام «مرجريت » الليلة . . أو طوال شهر العسل . .

ـ اتركه شهرًا ؟ لا يمكن . . مستحيل ! . . ده أنا أموت !

ـ اللى يريحك بقى .

ـ نتركه الليلة فقط . . وبعد ذلك سوف يكون معنا . . ألا يمكن أن نجد داده . .

ـ داده ؟ هنا فى النمسا ؟

ـ آه . . وفى أى مكان تسافر معنا . .

ـ إنت عارفه كم يكلفنا هذا . .

ـ أعرف . . وهل نسيت أننى سيدة غنية والا ايه . .

ـ نسيت والله .

ـ أذكرك بأننى قادرة على أن آتى له بداده واثنين كمان .

ـ زى ما أنت عاوزه . .

ـ ممكن اسأل « سؤال » . .

ـ تفضلى . .

ـ هل من الممكن أن نقيم غداء لزوجات أصدقائك اللى كانوا فى المطار لكى أتعرف عليهم جميعًا . .

ـ ممكن . . فكرة جميلة . . آه نسيت أقول لك . إن « مرجريت » عندها فكرة تدعونا إلى العشاء أى يوم تختارينه أنت . .

ـ لازم « مرجريت » . .

ـ على كيفك . .

ـ بلاش « مرجريت » . .

ـ وأنت إذا دعوت زوجات المصريين هنا . . فسوف تقيم كل واحدة منهن غداء أو عشاء لك . . فأنا أفضل عند العودة من شهر العسل . .

ـ هل هو شهر . .

ـ ليس بالضبط . .

ـ حسب ظروفك أنت . .

ـ ظروفى تسمح بأسبوع . .

ـ لا مانع . . على أن يكون لى فى حسابك ثلاثة أسابيع أخرى فى ظروف أخرى .

ـ أشكرك .

ـ بل أشكرك أنت ياحبيبى !

* * *

فى أحد الفنادق تلقت « ماجدة » . . مكالمة تليفونية من حماتها . . وكانت فى غاية السعادة « ماجدة » . . : أنا قابلت « مرجريت » ياطانط . . جميلة جدا ياطانط ومش باين عليها سنها أبدًا . . وطيبة جدًا . . وعاقلة جدًا . . لو رأيتها سوف تحبينها والناس هنا جميعًا يحبونها . . وسوف تترك لنا البيت . . وبعد ذلك تنتقل إلى شقة بعيدًا عنا . . ونحن سوف نبحث عن شقة جديدة . .

الحاجة « عديلة » : أنا مبسوطة أنك أحببت « مرجريت » . . والله يا ابنتى أنا كمان حبيتها من بعيد . . من كلام « صابر » وكل المصريين عنها . . الحمد لله أنك مبسوطة ربنا يديم عليكم السعادة . . ابقى كلمى ماما يا « ماجدة » . . لأن الصوت لم يكن واضحًا فى المرة اللى فاتت وهى موجودة فى بيت « اخوك » محسن . . أوعى تنسى . .

« ماجدة » : « صابر » ما قدرش يكلمك ياطانط . . لأنه نزل الصبح بدرى وبسرعة . .

« عديلة » : لا . . يا ابنتى كلمنى من القطر . . آه والنبى كلمنى . . ياحلاوة القطر عندكم فيه تليفون . . حاجات غريبة يابنتى . . ربنا يسعدكم ويجعل كل أيامكم « أعياد وأفراح » . . الحمد لله على كده يا ابنتى . . وبوسى لى « حمادة » و « صابر » . . من حق يا « ماجدة» . .

إيه الحكاية اللى طالعة فى دماغ « صابر » ابنى . .

ـ إيه ياطانط فيه . .

ـ ياابنتى عاوزنى أتعالج عندكم . .

ـ تنورينى وتشرفينى ويسعدنا ياطانط . . ياريت . . الفكرة دى كانت فى بالى . . ومش عارفه إيه اللى شاغلنى . . أحسن حاجة سمعتها النهارده . . ياريت ياطانط . .

ـ والله مفاجأة يابنتى .

ـ مفاجأة حلوة . . بس « صابر » كان لازم يقول لى .

ـ حنغير والا ايه ؟!

ـ منك أنت ياطانط . . دى أنت على عينى وعلى رأسى من فوق ياطانط . .

ـ أنا عارفه يابنتى . . لا إله إلا الله . .

ـ محمد رسول الله . .

نزلت « ماجدة» إلى الحلاق . . ثم راحت واشترت فستانًا جميلاً . . وقفت أمام المرآة طويلا . . فاليوم هو حفل العشاء الذى تقيمه «مرجريت» لـ «ماجدة» ولأصدقاء «صابر» من المصريين وزوجاتهم .

ولم تشأ « مرجريت » أن يكون العشاء فى بيتها وإنما فى مطعم صغير أنيق جدًا فى أحد شوارع فيينا . . والمطعم صغير . . ولكنه جميل جدًا . . ويبدو أن له قيمة تاريخية . . فالأسماء على الجدران والصور وكلها شخصيات قديمة . . وصاحب المطعم رجل كبير فى السن . . وزوجته أيضًا . .

وعند الباب الخارجى وقفت السيدة صاحبة المطعم ترحب بالضيوف وتعطى كل سيدة وردة حمراء . .

ثم جاء « صابر » و « ماجدة » وقدمت لهما باقة من الورد . . شمها « صابر » وقدمها لزوجته لكى تشمها . . مفاجأة . . إنه ورد بلدى مصرى !

وفى الداخل وقفت « مرجريت » أكثر جمالا وأناقة . . ووضعت فى صدرها عقدًا من الماس وفى أذنيها وفى أصابعها . . أما الفستان فطويل محتشم . . الكم طويل والصدر قد تغطى والفستان طويل . . وكل شىء يدل على سعادتها . . ولم يستطع أحد الا أن يبدى إعجابه بجمالها وأناقتها . .

أما « ماجدة » فهى الأخرى كانت جميلة . . شابة حلوة شعرها أسود . . وعيناها خضراوان . . ووضعت فى صدرها عقدًا فخمًا جميلاً من اللؤلؤ . وفى يديها وفى أصابعها وفى أذنيها . .

وقدمت لـ « مرجريت » هدية مصرية ثمينة صندوقًا من الفضة المبطن بالأحجار . . وفى داخل الصندوق مصحف صغير . . فى

صندوق من الفضة . . ثم عقد من الذهب يتدلى منه مفتاح الحياة عند الفراعنة . .

وجلسوا حول الشموع وكانت ليلة بديعة . . جلست « ماجدة » على رأس المائدة وجلست « مرجريت » على الجانب المواجه لها . .

ووقف الضيوف يقدمون هداياهم ويتمنون للعروسين كل سعادة . .

أما « مرجريت » فقدمت صاحبى المطعم : والدها ووالدتها . .

وكانت مفاجأة فهى لم تحدث أحدًا عن والديها . .

ثم نظرت إلى الباب وقالت وهؤلاء إخوتى وزوجاتهم . . أربعة من الرجال وزوجاتهم وقد ارتدين الملابس النمساوية التقليدية وكل سيدة قدمت للعروس هدية صغيرة . .

وكان مفاجأة للجميع ، فهى لم تحدث أحدًا عن إخوتها وزوجاتهم .

وقالت : إنهم جميعًا يسكنون فى هذه العمارة التى فوقنا . . لأنها عمارة يملكها أبى وأمى . .

ثم قالت فى هدوء وفى أسى رقيق : وفيها شقة خالية . . أرجو أن أنتقل إليها !

وأدركت « ماجدة » أن « مرجريت » قد قررت أن تبعد عن زوجها . . وإن الحزن الرقيق لم تستطع أن تخفيه . . كأنها أرادت أن تؤكد لـ « ماجدة » أنها حتى لو تزوجته فسوف تظل تحبه . . أو حتى لو ابتعدت فسوف يبقى « صابر » قريبًا من قلبها . .

وفهمت « ماجدة » الرسالة العابرة التى بعثت بها « مرجريت » على مسمع من الجميع . .

وفى الطريق إلى البيت قالت « ماجدة » : لم أكن أتصور أن «مرجريت» بهذه الرقة . . وبهذا الجمال . . إننى أحترمها . . وأحبها . . والناس معذورون فى حبها . . كيف تستطيع امرأة عاشقة أن تودع حبها إلى زوج غيرها بهذه الرقة وهذا الاحترام وهذه الكبرياء الجريحة . . إننى لا أستطيع أن أقف مثل هذا الموقف . . إنه موقف صعب . . يؤكد شخصيتها القوية وحبها الأقوى . . وعجزها عن إخفاء ذلك كله . . إنها عظيمة يا « صابر » . . وأنت معذور فى حبها . . وهى أيضًا معذورة . . إننى لم أخطئ عندما أحببتك فكل الذين يعرفونك يحبونك . . إننى سعيدة بأننى أحببت من يحبه كل الناس . . إننى سعيدة بأن أحدًا من الرجال والناس لا يقوى على تجاهلك . . أو اللامبالاة لك . . لابد أن يحبك . . فأنا مثل كل الناس أحببتك ولم أتصور الحياة من غيرك لحظة . . وعندما كنت بعيدًا كان عندى إيمان مطلق بأنك سوف تعود وسوف أكون لك . .

ـ . . . . . .

ـ « صابر » . . تعرف نفسى فى إيه . . نفسى تقول لمدام «مرجريت» أن تبقى فى شقتها معنا . . إننى أحبها . . والله أحببتها من كل قلبى . .

ـ قولى لها أنت . . أما أنا فلا أستطيع فهى قررت قبل مجيئك إلى فيينا . . بل هى التى حدثتنى عنك وعن حياتك هنا . وعن ذهابها

إلى مكان آخر . . مع حبها لنا واحترامها العميق .

ـ حبها لك . .

ـ بل حبها لك أنت أيضًا . . هذا ما قالته أمس .

ـ متى ؟

ـ عندما ذهبت أنت إلى الحلاق قالت لى : إن عروسك الجميلة سوف يحبها كل الناس هنا . . إنها رقيقة أنيقة وحبها لك واضح جدًا . .

ـ هى قالت ذلك ؟

ـ والله العظيم قالت ذلك بالحرف الواحد . . وأنت تعرفين أننى لا أكذب . .

ـ أنا سعيدة . . بكل كلمة قالتها . .

ـ الحاجة « فاطمة » .

ـ من الحاجة « فاطمة » ؟

ـ هى . .

ـ عندما أسلمت غيرت اسمها . . وسوف تحج هذا العام . . ويكون اسمها الحاجة « فاطمة » .

ـ أنت عاوز تجننى ؟

ـ ليه . . ؟

ـ إننى أزداد حبا لها لحظة بعد لحظة . .

ـ كنت متأكدًا من ذلك . .

ويتعانقان . .

الحلقة العاشرة

فى أحد مطاعم فيينا جلس « صابر » و « ماجدة » . . هو قد ارتدى البدلة الأنيقة والكرافتة . . وهى أيضًا فى غاية الشياكة . .

وعزفت الموسيقى : سنة حلوة ياجميل . . هابى برثداى تو . . يو . .

والتفت كل الحاضرين ليروا التورتة ذات الشمعة الواحدة وقد استقرت على المنضدة أمامهما . . إنهما يحتفلان بعيد زواجهما الخامس . .

اقترب « صابر » من « ماجدة » وقال لها : « ماجدة » كل يوم أكتشف أنك جميلة شكلا وموضوعا جميلة وجها وقلبا . . سبحان الله . . كنت أمامى طوال عمرى . . ولكن كان شعورى دائمًا أنك مثل أختى . . وفى الوقت نفسه أحسست أن الأسرة تريد أن تفرضك فرضا لأنك بنت خالتى . . ولم أنظر إليك نظرة رجل غريب عنك . . ولكنها مشيئة الله . . وبعدين يا « ماجدة » . .

« ماجدة » : بعدين إيه ؟

« صابر » : إنت عارفه .

ـ لأ مش عارفه . .

ـ لأ عارفه . .

ـ آه تقصد . . إننى مانعه نفسى من الحمل . . أنا قلت لك مش قبل أن يصبح حماده قادرًا على أن يخدم نفسه . . والآن إن شاء الله سوف يكون لنا بنت بإذن الله . .

ـ أكيد . .

ـ ربنا كريم . .

ـ يعنى أنت حامل . .

ـ أيوه . .

ـ ياما إنت كريم يارب . . وأخفيت عنى هذا الخبر السعيد . .

ـ أنا لم أخفه . . وإنما ذهبت إلى الطبيب اليوم . . وانتهزت هذه الفرصة السعيدة لأجعلها سعيدة مرتين . .

ـ الحمد لله . . لابد أن أنقل هذا الخبر لماما فى المستشفى . .

ـ أنا سبقتك وقلت لها . . وهى فى منتهى السعادة . . وكادت تنط من السرير ولكن أنا منعتها . . تعرف يا « صابر » المصريون دول فيهم حاجة غريبة . . تصور أنهم يتناوبون عليها صباحا ومساء . . تماما كما يفعلون فى مصر . . هذا معه ورد . . وهذه معها مجلات من مصر . . ولا أعرف كيف وجدوا اللب الأسمر . . تصور أتوا باللب

والسودانى والفستق . . والقهوة التركى . . والكنكة والفنجان . . وحتى البن محوج . . تصور فيه حبهان . . إنهم يشغلونها تمامًا عن أى ألم . . حكايات ونكت وقصص من حضر ومن سافر . . أما الحاج « عبد اللطيف» وأولاده . . وخصوصا « ثريا » بنته لا يفارقونها لا ليلاً ولا نهارًا ويأتون لها بالملوخيا . . وفتة الكوارع هل هذا معقول . . حتى المخلل . . كأنها فى مصر بالضبط . . إن هذه البلاد لم تغير من العادات الكريمة عند المصريين . . أعجب هدية تلقتها النهارده صندوق من الجبنة الدوبل كريم وفيها فلفل أخضر . . جبنة دمياطى فى فيينا ؟!

ـ يعنى أنت قلت لماما قبل ما تقولى لى . .

ـ طبعًا . . إن مثل هذا الخبر يجب أن تقوله سيدة لسيد ة . . أن تكون الأم أول من يتلقى هذا النبأ السعيد . . وأنا أعرف حب أمك لى ولك . .

ـ طيب قلت لأمك .

ـ طبعا . . إنها أسعد إنسان فى الدنيا الآن . . وكانت تعيسه على زواجى الأولانى . . كما كانت تعيسه بسبب زواجك الأولانى أيضًا وكنت أقول لها : سوف نتزوج ياماما . . وكانت تقول : أنت مجنونة زى أبوك . .

ـ وليه زى أبوك . .

ـ إنها نفس القصة . . فقد تزوجت أمى رجلاً آخر غير والدى وهو ابن عمها أيضًا . . وكان يقول : إن زواجها هذا بضغط من

أمها . . ولكن لابد أن أتزوجها ولن أتزوج غيرها وسوف أنتظرها . .

ـ حكاية غريبة أنا أول مرة أسمعها . .

ـ إنها حكاية قديمة عمرها أكثر من أربعين سنة . .

ثم ماذا حدث . .

ـ لقد فوجئت أمي بأن زوجها الأولاني أخفى عنها زواجه من واحدة بنت عمه غنية . . فطلبت الطلاق وأصرت عليه . . وكان والدى فى انتظارها . .

ـ هل اقترح شيئًا ؟

ـ أعرف الذى سوف تقترحه . . لقد حدث يا أستاذ . .

ـ صح . .

ـ ايوه . .

ـ طيب أنت عارفه أنا كنت عاوز أقول إيه . .

ـ من غير ما تقول أنا عارفة . . طبعًا قلت لـ « مرجريت » . . وهى سعيدة جدًا . . وقد تلقت النبأ والدموع فى عينيها . . والله الدنيا بخير يا « صابر » . . الواحدة بتشوف حاجات فى البلاد دى لم أكن أتصور أنها موجودة أبدًا . . فعلا الدنيا بخير . . والخير كثير ولكننا يجب أن نصبر عليه حتى نهتدى إليه . .

* * *

الشقة الجديدة لـ « صابر » و « ماجدة » . . وكل دقيقة يدق جرس الباب . . ورد من الضيوف . . وبعض الهدايا . . وعلب

الشيكولاتة والبسكويت وفى المطبخ خادمة جاءت من مصر . . و«حمادة» يلعب فى كل مكان . . والموسيقى الهادئة الناعمة تتردد فى الشقة اللامعة . . لقد أقامت « ماجدة » حفلة شاى للأصدقاء . .

وكان أول من قدم إلى الشقة « مرجريت » ولم تكد تفتح الباب حتى رأت صورتها الكبيرة على الحائط يراها كل من يدخل البيت . . فاغرورقت عيناها بالدموع واحتضنت « ماجدة » وقبلتها . .

وتقدمت منها « ماجدة » تشير إلى صورة « مرجريت » : طبعا أنت تعرفين صاحبة الصورة . . هذه صورة والدة « صابر » . . وهذه صورة والدتى . . وهذه صورة « حمادة » وهذه صورة المرحومة «تهانى» . . وهذه صورة والدى . . وهؤلاء إخوتى . . وهؤلاء إخوة «صابر » . .

« مرجريت » : لا أعرف ماذا أقول . . أنا لا أستحق كل ذلك . .

ـ بل أكثر من ذلك . . نحن كل يوم نزداد حبا لك . .

ـ وأنا أيضًا . .

ـ أنا لا أصدق ما أرى وأسمع . . لم أكن أتصور أن فى الدنيا كل هذا الحب وكل هذا الصدق . .

ـ شكرًا . .

وجاء « صابر » فتقدم إلى « مرجريت » وشكرها على الحضور وقبّلها فى خديها وفى يديها . .

« ماجدة » : لم تلاحظ شيئًا هامًا . .

ـ ماذا ؟

ـ انظر !

ـ الله صورة جميلة لشخصية أجمل وأرق وألطف من خلق الله . . شكرًا لك ياحبيبتى . . وراح يقبّل زوجته فى خديها وفى يديها أيضًا . .

« صابر » : أين الضيوف ؟ . .

« ماجدة » : سوف يجيئون ولكن أنا أردت أن تجىء «مرجريت » وحدها لكى أجلس إليها قبل أن يأتى الضيوف . .

وتوالى الضيوف ورأوا صورة « مرجريت » وعانقوها وقبّلوها . .

* * *

وبعد الحفلة ذهبوا جميعًا إلى والدته فى المستشفى . . وتلقوا مكالمة تليفونية من حماته ومن إخوته وإخوتها . .

* * *

وفى السيارة سألت « ماجدة » : إلى أين يا « صابر » ؟ . .

ـ إلى أى مكان نجلس فيه معا ونتكلم على راحتنا . .

ـ عندى .

ـ ماذا ياترى . .

ـ الشركة . . سوف توفدنا إلى القاهرة لكى نجرب نوعا من العقاقير لعلاج المعدة والأمعاء . . فسوف أحمل معى كمية كبيرة من العينات أقوم بتوزيعها على المستشفيات والعيادات . . مجانا طبعًا . .

وأنتظر رأى الأطباء والمرضى فى العقار الجديدة . . إن هذا العقار يعتمد على الأعشاب وعلى الفحم وعلى عسل النحل . . فالاتجاه العام الآن ضد استخدام الكيماويات . . لأنها مرهقة للمعدة والأمعاء . . وأحيانا ضارة جدًا . .

ـ متى؟ . .

ـ بعد أربعة شهور .

ـ لماذا أربعة ؟ . .

ـ مفاجأة . .

ـ فى عرضك كفى مفاجآت . .

ـ لأننى أريدك أن تلدى فى مصر بين والدتك ووالدتى وإخوتى وليس هنا وحدك . .

ـ ربنا يخليك يا « صابر » . . أنت تفكر فى كل شىء . . فكرة جميلة . . لم تخطر على بالى . ولكن لابد أننى سأحتاج إلى أحد إلى جوارى . . وخصوصًا أننى عندى إحساس قوى بأننى سوف ألد توءمين !

ـ ماهذا ؟

ـ إحساس . .

ـ إحساس قوى كأحساسك بزواجنا . .

ـ شىء كهذا . . .

ـ بنتان طبعًا . .

ـ ربنا أعلم . .

ـ يارب أبعث لنا بنتين زى القمر . .

ـ زى أبوهم طبعا . .

ـ فشر زى أمهم . . والله قمر ١٤ « ماجدة » . . والله زى القمر. . اللهم لك الحمد والشكر ونسمى التوءمين إيه ؟ . .

ـ صبرك يا « صابر » . . مستعجل على إيه . . بس أولد أولا . .

ـ إن شاء بالسلامة . فيه حاجة مضايقانى جدا . .

ـ خير إن شاء الله .

ـ أبدا حاجة فى الشغل .

ـ إيه .

ـ مش أنا لكن أنا مندهش أن الشركة كان بها عدد من المصريين . أطباء وصيادلة . . وتركوها . .

ـ تركوها لماذا ؟

ـ لم يتركوها ولكن الشركة طلبت منهم أن يتركوها . . أنا متضايق جدًا . . الشركة عظيمة جدًا . . وكل شىء فيها منظم . . وكل شىء علمى ودقيق . . ليه بعض المصريين لا يحترمون النظام . . ليه يجعلون الناس يشكون فى التعامل مع أى واحد مصرى بعد ذلك .

ـ ماذا حدث ؟

ـ ولا حاجة . . ترددت الشركة فى أن تبعث بى فى هذه المهمة إلى مصر . . لأنهم أرسلوا واحدًا من أربع سنوات . . فباع العينات ولم

يعد إلى فيينا . . مع أن ثمنها تافه ولكن هذه العينات هى خلاصة أبحاث قام بها علماء الشركة وأطباؤها وجربوها فى أماكن مختلفة من العالم . . وكان هدفهم أن يروا نتائج هذه العقاقير فى مصر . . وأكثر من ذلك كان فى نيتهم أن يجعلوا واحدًا من هؤلاء الصيادلة المصريين وكيلاً للشركة فى مصر . . وغير ذلك من تصرفات صغيرة جدًا . . تافهة جدًا . . ولكنها أساءت لسمعة المصريين جميعًا . . ولولا أنهم وضعونى تحت الرقابة الشديدة جدًا ، ما كانوا عرضوا علىّ هذه المهمة وكلفونى بأن أكتب تقريرًا عنها . . صحيح أنا لست صيدليًا لكن عندى معلومات عامة وسوف يرافقنى أحد الصيادلة النمساويين وليس المصريين تصورى !!

ـ خسارة . .

ـ أنا نسيت أقول لك أن عندنا عشاء مهما جدا أقامته « مرجريت » فى مطعم والديها . .

ـ ولكن ليس عندى فستان جديد .

ـ ولا يهمك . . إنه عشاء ضيق جدًا لن يحضره إلا نحن . . وأسرة الحاج « عبد اللطيف » وماما . .

ـ ولماذا هو مهم . .

ـ أنا قلت مهم ؟

ـ إيوه . .

ـ أقصد من المهم أن نحضره لأن « مرجريت » تريد أن تقدم لنا

طعامًا جديداً فى هذا المطعم . .

- . . . .

* * *

ودخلوا جميعا المطعم الصغير الأنيق . . « صابر » و « ماجدة » ووالدة « صابر » معا . .

ثم جاء الحاج « عبد اللطيف » وابنته « ثريا » وابنه « عبد الفتاح » وزوجته البولندية . .

وكان فى انتظارهم صاحبا المطعم والدا « مرجريت » . . الأب فى غاية الأناقة والشياكة والأم أيضًا . .

ووراءهما باقة ورد كبيرة وجلسوا إلى المائدة والشموع وفجأة دخلت «مرجريت» ترتدى فستانًا أبيض ومعها مدير المستشفى النمساوى . . المستشفى الذى كانت تتعالج فيه أمه . .

وتساءلت « ماجدة » : إيه ده فرح ؟

- نعم .

- فرح مين ؟

- فرح « مرجريت » !

- إزاى ؟

- إنها أصرت على الطلاق عندما علمت بزواجنا . .

- والله ما أروعك يا « مرجريت » . . إنها أعظم إنسان قابلته فى

حياتى . . كيف تفكر بهذا الجمال والعقل . .

وبكت « ماجدة » وهجمت على « مرجريت » تقول لها : من كل قلبى أتمنى لك السعادة يا أعظم وأجمل سيدة فى الدنيا . .

وقدمت « مرجريت » زوجها زميل الدراسة الابتدائية والثانوية : د. « هانز شلجل » مدير عام مستشفى الأمراض الباطنية بمدينة جراتس . .

الحلقة الأخيرة

وفى الصباح جلست « ماجدة » و « صابر » يتناولان طعام الإفطار. .

« ماجدة » : أنت مالك .

« صابر » : يعنى .

ـ يعنى إيه . . أنا لم أستطع أن أنام . . إن الذى حدث بالأمس هزنى هزًا عنيفًا . . كيف استطاعت « مرجريت » أن تتصرف بالعقل، رغم حبها الشديد لك . .

ـ ولكن بسبب حبها لى . فهى حريصة على هذا الحب . . وحريصة على سعادتنا الزوجية . . فمن أجل أن نظل أصدقاء وعندنا ذكريات حلوة قررت أن تبتعد وأن يكون ذلك محترما . . فهى تزوجت صديقًا قديما وأحد أقاربها . . هو فى حاجة إلى زمالة . . إلى بيت وأسرة وهى أيضا . . وهو خرج من قصة حب فاشلة حطمت أعماقه . . وهى أيضًا . . هو صارحها وهى صارحته أيضًا . . وقررا

أنه من الممكن أن يعيشا معا وأن يتساندا . . وهى أقوى منه بكثير جدًا . . وهو فى حاجة إلى شخصية بهذه القوة والطيبة والصدق . . ولن يجد أفضل منها فى كل النمسا . .

ـ إنهم يختلفون عنا . . كأن هذا الذى أسمعه لا يمكن أن يحدث فى مصر وبهذا الاحترام والرقة والأدب والذوق . . مستحيل . . كيف يتفق الناس هكذا . . دون ضجة ودون شعارات . . هى أحبت ولم تستطع أن تكمل حياتها مع من تحب . . ولكن لابد أن تعيش . . هى تعيش محترمة والحب يعيش فى قلبها . . مع احترامها للظروف التى تغيرت هنا وهناك . . وزوجها أيضًا . . ولكن قل لى كيف طلبت الطلاق منك ؟ . .

ـ هى لم تطلب الطلاق . . ولكن هى قررت الطلاق . . فعندما تزوجنا اشترطت أن تكون العصمة فى يدها . . حتى لا أعيش على الرغم منى معها ولا هى على الرغم منها . . وكانت بعيدة النظر . . وهى عاقلة دائمًا . . وقالت لى : أنا أعرف وأفهم وأقدر وأحترم العلاقات الإنسانية ومستحيل أن أبنى سعادتى على تعاستك أو تعاسة زوجتك أو ابنك . . ما كان بيننا سوف يبقى محترما عندنا . .

ـ يا سلام . . إيه ده . . الناس بتفكر إزاى . . إيه العظمة دى . . وبعدين يا « صابر » . .

ـ ذهبنا معا إلى القنصلية وتم الطلاق وسجلناه . واتفقنا على أن يظل ذلك سرا بيننا وطبيعى أن أحترم رغبتها . .

ـ إذن كل ذلك حدث قبل أن أجىء إلى هنا . .

ـ عندما علمت من بعض المصريين ـ لا أعرف من هم ـ أننى سوف أتزوج . . ولابد أنها عرفت أكثر من ذلك . . ولكنها لم تقل لى شيئًا . . وإنما أبلغتنى قرارها .

ـ وكانت حزينة ؟

ـ نعم . .

ـ هل بكت ؟

ـ أنا الذى بكى . .

ـ أنا لو مكانها كنت بكيت أيضًا . . ولكن يجوز بكت بعيدًا عنك . . أو من المؤكد أنها بكت ولم ترد أن تريك ضعفها أو أن تؤثر عليك . . منتهى العظمة والاحترام يا « مرجريت » وهل أبلغت أحدًا غيرى . .

ـ ماما . . بناء على طلبها هى . .

ـ فماذا كان شعورها . .

ـ والله لقد بكت أمى بكاء شديدًا وراحت تبوسها فى خديها وفى رأسها وفى يديها . . وقد تأثرت « مرجريت » إلى أقصى درجة حتى انهارت هى الأخرى . .

ـ وأنت رأيت ذلك ؟

ـ لا . . ماما قالت لى . .

ـ وكان فى المستشفى أحد ؟

ـ لم يكن هناك أحد سوى مدير المستشفى .

ـ هو رأى كل ذلك ؟

ـ نعم .

ـ ولم يتضايق . .

ـ إنه رجل عاقل . . وهو قدّر مشاعرنا . . فقد كان هو الآخر يحب . . وقد انفصل عن زوجته باحترام عظيم . . وسار كل واحد فى طريق . .

ـ الله الله إيه الأخلاق دى . . إيه الناس دى . . والله أنا ما كنت أتصور شيئًا من ذلك إلا فى الأفلام الرومانسية جدًا . . ولو رأيت فإننى لا أصدق كل ذلك . . وأجد فيه مبالغة غير معقولة . . ولكن الذى أعايشه فوق احتمال القلب والعقل ! أنا مش عارفة اتلم على أعصابى . . أنا لم أنم ليلة أمس . . لقد هزنى هذا الحادث السعيد . . أو هذا القرار العجيب من « مرجريت » . . وأنت جالك نوم ؟

ـ لم أنم يوم قررنا الطلاق . . ولا يوم عرفت من الذى سوف تتزوجه . . ولم أعرف كيف أقول لها . . أشكرها . . أو أهنئها . . كل الذى حدث أننى انهلت على يديها أقبلها . . وأبكى . . أنا بكيت أمامها . . ولكنها لم تبك . . وإنما بكت عند أمى . .

ـ أنا خائفة . .

ـ من أى شىء ؟

ـ أنا عندى إحساس كأن الدنيا تنتهى . . كل شىء ينتهى . . صحيح نهاية سعيدة ولكن لا أعرف ما الذى سوف يجىء بعد

ذلك . . هل الظروف سوف تتركنا بهذه السعادة والله أنا خائفة جدًا . .

ـ لا تخافى . . ربنا كبير . . الحمد لله على كل شىء . .

ـ خائفة . . كنت خائفة أول الأمر ألا أجد أحدا فى فيينا . . ولكن وجدت من الأصدقاء المخلصين أضعاف الذين كنت أجدهم فى القاهرة . . ووجدت من المشاعر ما لم أسمع وما لم أقرأ وما لم أكن أصدقه لو جاء فى الكتب أو فى الأفلام . . بالضبط لا أعرف هل أنا سعيدة لأن « مرجريت » تزوجت فابتعدت عنك . . أو هل لأنها تزوجت . . أو هل لأنى ازددت حبا وإعجابا بها . . مش عارفه . .

وراحت تبكى . . وانهارت على المقعد . .

* * *

اليوم عشاء كبير عند الحاج « عبد اللطيف » . . وهو رجل صيدلى هاجر من مصر من حوالى ٣٧ عاما . . وهو أبو المصريين فى هذه المدينة . . يعرفهم جميعًا . . وإذا واحد منهم وقع فى مشكلة هو وحده الذى يحلها . . فى وزارة الداخلية فى وزارة الخارجية فى السفارة . . فى الشارع . . وهو الوحيد الذى يستطيع أن يشخط فى أى مصرى وأحيانا يضربه . . والشبان يرون أنه والدهم وصاحب الفضل عليهم . . ويرون فيه نموذجا للكفاح والنجاح . . لقد رأى وجرب وسمع وتعذب من كل الأوضاع الصعبة التى واجهته عندما جاء من المنصورة لا يعرف إلا عشرين كلمة إنجليزية وخمس كلمات ألمانية . . وقد باع كل ما يملك من أرض ورثها عن والديه وجاء

وعنده إصرار على أن يكون شيئًا .

وكانت مغامرة أول الأمر . . من شاب فى الثانية والعشرين من عمره . . وبعدها بسنة أو سنتين يعود إلى مصر . . ولكن المغامرة انتقلت إلى مغامرة إلى مغامرة وانتقل من عمل إلى عمل . . ومن بلد إلى بلد ومن زوجة إلى زوجة . . واحدة مصرية ماتت وواحدة مجرية طلقها . . وواحدة المانية هربت مع واحد أميركانى . . وقرر أن يبقى وأن يعمل . . وبعد أن تجمع لديه مبلغ كبير من المال اشترى البيوت والدكاكين وقرر أن يعيش ويسافر شرقا وغربا . . وأن يأتى بأولاده وبنى لهم بيتا ويعيشون معه وحوله . .

وهو طول عمره رجل شيك . . وابن حظ وابن نكتة . . يشرب ويرقص وأول من يهنىء وأول من يعزى . . وهو أبو الجميع بشهادة الجميع . .

وفى التليفون قال الحاج « عبد اللطيف » لـ « ماجدة » : ياعروسة أنا عاوزك تلبسى أبيض فى أبيض . . لازم . .

« ماجدة » : أمرك ياحاج . .

ـ كل الستات أنا طلبت « منهم يلبسوا » أبيض . . علشان تبقى ليلة بيضاء علينا جميعا . . وسنة بيضاء . . خلاص . .

ـ خلاص يا حاج . .

ـ حاجة ثانية قولى لجوزك يلبس بدلة غامقة . . رسمى . . أنا أحب الرسميات ، والنمساويون هنا علمونا الضبط والربط . . وأنا

نمساوى خدى بالك . . أنا هنا قبل أنت ما تتولدى . . وقبل أمك ماتتولد كمان . .

ـ هاها . . هاها . . حاضر ياحاج . .

ـ يابنت ما تقوليش ياحاج عيب . . تقولى حاضر يابابا . فكلكم هنا أولادى .

ـ حاضر يابابا . .

ـ أهوه كده !

* * *

أما شقة الحاج « عبد اللطيف » فهى فى نفس العمارة ولكن فى الدور الأخير . . وهو قد فتح شقتين بعضهما على بعض . .

وكان الحاج « عبد اللطيف » قد دعا معظم الجالية المصرية . . وكل رجال السفارة وزوجاتهم . . وطبعا « مرجريت » وزوجها . . ولم يكد الباب ينفتح حتى انطلقت رائحة البخور . . جو مصرى شرقى . . مع أغنيات أم كلثوم . .

وفجأة سكتت الموسيقى . .

ووقف الحاج « عبد اللطيف » . . وفتح الستار عن تورتة العروسين . . واستعدت «ماجدة » لكى تقطع التورتة . . ووقف إلى جوارها « صابر » ومنعها . . ولاحت الدموع تنزل من عينى «ماجدة» . . عندما انطلقت موسيقى : اتمخطرى ياحلوة يازينة . .

وتقدم الحاج « عبد اللطيف » . . وفتح باب غرفة مجاورة لتخرج

الحاجة « عديلة » فى فستان أبيض . . إنها هى العروسة . .

وصفق الحاضرون وانهارت « ماجدة » . .

وحاول الطبيب إسعافها . . ولكن « صابر » قال له : إنها حامل . . وسعيدة بهذه المفاجأة الكبرى ! .

مبروك ياعريس . .

مبروك ياعروسة . .

مبروك لنا جميعا . . مبروك .

ويتساءلون كيف استطاعوا إخفاء هذا الخبر . . متى كان التعارف . . فى المستشفى وكيف أقنع « صابر » والدته . . وكيف كتم هذا الزواج وكيف لم يتحدث أحد من السفارة عن هذا الخبر السعيد . . وكيف أن السفير الذى هو قريب « ماجدة » والذى زارها مرات عديدة لم يخبرها بهذا الزواج الذى تم من أسابيع عديدة !

* * *

وفى نهاية الحفل وبعد أن أفاقت « ماجدة » من انهيارها . عانقها وقبّلها . . وقال لها : آخر مفاجأة !

ـ فى عرضك يا « صابر » إلا إذا كنت عاوزنى أموت . .

أرجوك . . أنا اكتشفت أن قلبى ضعيف . . وأننى لا أقوى على هذه الأخبار السعيدة . . فى عرضك يا « صابر » فى عرضك أبوس إيديك . . حرام عليك . .

ـ ليس مفاجأة سارة ولا حزينة . .

ـ ليست مفاجأة . . وإنما نمشى ونذهب إلى مكان ونتوقف عنده لحظات . .

ـ ما هذا المكان ؟ أرجوك .

ـ لا تخافى . . أنا حريص على الطفل وعلى سلامتك . . وهو مكان له معنى خاص عندى . . له معنى تاريخى . . فى تاريخى أنا . . ولن يضايقك ذلك . . ولن يجعلك فى الوقت نفسه تموتين من الفرحة . .

ـ أين ؟

ـ قريبا من هنا . .

ـ « صابر » فى عرضك . .

ـ قلت لك لا تخافى . .

وتوقفت السيارة . . ونزل الاثنان إلى ما تحت أرض أحد ميادين فيينا . . وطلب منها « صابر » أن تقف . . وسبقها إلى مكان بعيد وجلس على الأرض وأسند ظهره للحائط . .

ـ مش فاهمه . .

ـ من هنا بدأت مشوارى إليك . . من هنا كانت رحلتى فوق سطح الأرض . . كنت هنا وحدى . . والآن لم أعد وحدى . . هنا كنت خائفًا . . واليوم كل شىء معى . . أنت وابنى وابنتاى (يضحك) وأمى وأحبائى . . مشوار طويل ولم يكن صعبا . . ولم أحقق فيه مستحيلا . . وإنما حققت كل ما هو ممكن بتعب وشرف وكرامة وحب !

رقم الإيداع ٢٨٨٢ / ٩٤
I.S.B.N 977 - 09 - 0205 - 5

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

إلا فاطمة

كانت للكاتب الكبير أنيس منصور قصة غريبة مع قصة (عريس فاطمة) من أكثر من ثلاثين عاما . . كتب حكاية فاطمة . ولم يكملها . وتركها أكثر من عشرين عاما . ثم أكملها . وجاءت التكملة محاكمة من البطلة فاطمة للمؤلف نفسه . . ثم ظهرت على الشاشتين الكبيرة والصغيرة . .

وهاهي ذى فاطمة مرة أخرى تعاود الظهور . . فإن لم تكن هذه رواية فهى قصة طويلة . . وإن لم تكن قصة فهى مشروع لقصة . . أو لاصطدام أبناء حضارتين معا فى فيينا عاصمة النمسا . .

وهي تتحدث عن فاطمة وأخواتها . . وعن عدد من المصريين (الجدعان) أولاد البلد . . بكل سلبياتهم وشهامتهم أيضا . .

وفى خيوط الحب والصدق والخوف والشجاعة والأمل هذا الثوب الضيق . . الذى يتسع ويشمل الدنيا كلها . .

ولابد أن ألوف المصريين الذين سافروا إلى قارات الدنيا قد التقوا بواحدة . وليكن اسمها فاطمة . وقامت فاطمة هذه بدور الأم والأخت والزوجة . . بل من الممكن أن يكون فى حياة المهاجر إلى الدنيا الواسعة أكثر من فاطمة . حدث . وسوف يحدث . .

وكاتبنا الكبير أنيس منصور يقـدم لك فاطمة وحولها عشرات الشبان المصريين . . هل حـدث له ذلك ؟ يجوز . . هل الذى حدث من الممكن أن يتكرر ؟ لقد حدث . .

وفى عباراته السهلة الجميلة الدافئة ، وفى لمساته النفسية وهمساته الفلسفية ، أنت مع أحب الكتاب إلى قلوب الناس منذ أكثر من أربعين عاما . . ولايزال . .